



نقطة تحول

هيام محمود عبد القوي روبي

نقطة تحول

هيام محمود عبد القوي

تصنيف العمل: قصة

المؤلف | ة: هيام محمود عبد القوي

تصميم الغلاف: لمياء فتحي

الاخراج الفني: سمر حمدان

دار احبة الضاد للنشر الالكتروني

رئيس مجلس الإدارة:

هدير إبراهيم

أحبة الضاد

سلمى جمال

عن سلسلة نقطة تحول

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله،
وسبحانك سبحانك سبحانك... لا علم لنا إلا
ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، أما بعد:

فقد أنعم الله علي بتلك الفكرة في وقت كنت أريد
فيه أن أساعد الناس بطريقة سهلة، وبلغة تناسب
سرعة العصر الذي نعيش فيه وسرعته.

وقد لمست إقبال الناس على القصص، وتأثيرها
فيهم.

ومن المؤسف أن معظم ما انتشر من القصص
هي القصص التي تهدم ولا تبني، وتخرب ولا
تصلح، وتزيد من عثرات الناس
وسقطاتهم، ظوتريهم في الجب المظلم، لا تلك
التي تمد لهم يد العون ليخرجوا من العثرة، أو
تشعل لهم المصباح ليجدوا الطريق أمامهم
منيرا..

فقررت أن أطرق ذلك الباب.. وكانت تلك هي
البداية.. سلسلة نقطة

لماذا أسميتها نقطة تحول؟

إنها مجموعة قصصية، تتناول لحظة فارقة في
حياة أبطالها قرروا فيها أن يكونوا شيئاً مختلفاً
عما هم عليه الآن..

لقد ضاقوا ذرعاً بأسلوب حياتهم الخاطيء،
وقرروا أن يتغيروا، قرروا أن يكونوا شيئاً
آخر..

لقد واجهوا ما يكفي من المتاعب بسبب سلوكهم
السلبى، وحين الوقت لتحل الإيجابية محل
السلبية، حين الوقت ليكونوا أفضل، وليحققوا
أحلامهم، وليحسنوا حياتهم، وليقودوا خطواتهم
بطريقتهم الخاصة بدلاً أن يتركوها نهبا للظروف
والأحداث.

وبدل أن يكونوا تابعين لغيرهم، فقد قرروا أن
يمسكوا بدفة سفينتهم، وهم مصرون على أن
يصلوا بها لشاطئ الأمان..

فتابعوا معي أحداثها، عسى أن تكون شعلة أمل
أضيئها، أمام من تعثرت خطواته في الظلام
فسقط..

وإني لأرجو أن تضيء لكم تلك الشعلة الطريق..
وتوضح الخطوات.. لكي ينهض شبابنا من
عثراتهم.. ويجدوا مسارهم الذي ضاع منهم في
التيه والظلام في ظلام المشكلات، وظلام الألم
وظلام الحاجة وظلام الوحدة.. وظلام الإحباط..
وظلام اليأس..

وأن تكون "نقطة تحول" سببا ليقفوا من جديد
بأقدام ثابتة على أرض صلبة..

إني لأرجو من أعماق قلبي المحب لأمتي..
الحريص على شبابها.. ثروتها.. أن تكون قصتي

في حياتهم.. في حياتكم.. في حياتك أنت أيها
القارئ العزيز.. نقطة تحول...

وتذكر:

"أي تغيير يحدث في حياتك، يحدث داخلك أولاً"

همسة.. لكل كاتب..

يا صاحب القلم ما أجمل القلم حين تحمله يد
تحب أمتها، وتحرص على أن تبني وتعمّر..

وما أخطر القلم، حين تحمله يد عابثة لاهية همها
أن تهدم وتخرّب..

فكن صاحب قلب حي واجعل من قلمك علاجاً
لامشكلة جديدة...

صوّبه نحو العلاج.. ولا تنكأ به جراح أمتك..
فتدميها...

تذكر أن.. القصة رسالة..

الفصل الأول

أحبة الضاد

أوقف الأفكار السلبية فوراً، فنظرتك السلبية
تضاعف مشكلاتك

قال أحد الحكماء:

“ما سببته لنفسى من مشاكل.. يتعدى بكثير ما
سببه لى أى إنسان فى العالم”.

يالهِ من جو خانق.. ويوم شديد الحرارة والكأبة..
لقد وقفت طيلة النهار ولم يقترب أحد من
بضاعتي، حتى جاء هؤلاء الـ... ليقلبوا لى
العربة أرضاً، ويطيحوا ببضاعتي، ويحيطوا
معها بما بقى لى من أمل..

كيف سأعود اليوم لوالدتي المريضة من دون أن
أجلب معى أى شىء سوى خيبة الأمل؟

آه.. لقد انقلبت الحياة فجأة... خمسة أعوام كاملة
من المعاناة والمشكلات فقط.. لم أعرف فيها

طعم الراحة.. لا راحة الجسد ولا راحة البال..
وها أنذا أدور في الرحي كما يدور الحمار...

كنت أمشي ذاهلا عن طريقي.. وأنا أشعر
وكأنني أمشي في طريق بلا نهاية.. لكن أحدهم
قطع شرودي حين جذب طرف قميصي، لعله
أحد الحمقى قد تناول جرعة زائدة من المخدر
وقد عمي بصره وظن أنني أملك مالا سيحاول
أن يأخذه مني، حسنا. يبدو أنني في موعد مع
مشاجرة اضطرارية، سحبت نفسا عميقا
وأحكمت قبضة يدي واستدرت لأقذفه بها في
أنفه.. لولا أن رأيت وجهه المشرق وابتسامته
الواسعة... وصوته المفعم بالحب والمفاجئة وهو
يناديني:

فريدا! لقد مرت أعوام على آخر لقاء لنا
يارجل، لا أصدق أنني أقابلك من جديد، كيف
حالك يا صديقي العزيز؟

تهلل وجهي برغم ألمه حين رأيت صديق
الدراسة باسمًا ومحبا، وأخذت أصافحه بحرارة
بالغة، فلقد كان عزيزا عليّ حقاً في أيام الجامعة،
ولولا ظروف السيئة ما كنت لأبتعد عنه، إنه
رجل شهم وكريم وخلق، أحبته نصف مبتسم:

مرحبا يا ضياء! يالها من مفاجأة جميلة.

تغير وجهه فجأة وبدت عليه الحيرة والارتباك،
وسألني:

_مالي أراك على هذه الحال من البؤس
والشرود، لقد كنت ذاهلاً إلى حد كبير لدرجة
أنني منذ دقائق وأنا أنظر إليك وألوح لك من
بعيد وأنادي عليك أيضاً وأنت حتى لا تراني ولا
تسمعني، ما بك؟ لم أنت متجهم إلى هذا الحد؟

قلت بارتباك: أنا.. لا شيء أبداً.. أنا بخير.. ماذا
عناك أنت؟ وكيف هو حالك؟

أنا بخير والحمد لله، ففي حياتي كل ما أتمناه،
صحتي بخير، وعملي جيد، وزوجتي رائعة، كما
أنني قد رزقت بالمولودة الأولى، وأسميتها أمل،
إنها طفلة رائعة الجمال، ومبهجة للنفس أيضا،
الحمد لله! أنا أحمد الله على كل ما أنا فيه من
نعم، الحمد لله.

شرد ذهني وأنا أنصت لكلامه رغما عني،
ومضيت أقلب في ذاكرتي عن آخر مرة شعرت
فيها بالسعادة، أو آخر مرة تحقق لي فيها حلم أو
أمل، فلم أستطع تذكر ذلك، ربما حين أمسكت
بشهادتي الجامعية في كلية الهندسة بتقدير
الممتاز مع مرتبة الشرف.. وبترتيب الأول على
دفعتي منذ خمس سنوات مضت، وقد كان الأمل
يملأني وأحلامي تتراقص أمام عيني في أن
أصير أستاذا بالجامعة؛ لأنني الأول على دفعتي
والأحق بجدارة بهذا المنصب.

هاه.. لقد كنت أحلم كما حلمت كثيرا قبل أن أستيقظ من حلمي وأسقط على صخرة الواقع المر الأليم، فالواقع يقول أن هذه الأماكن محجوزة دائما لمن له ظهر يستند عليه، فقد كان المكان من نصيب زميلي الحاصل على تقدير جيد جدا بفارق درجة واحدة ترفعه عن تقدير جيد، أتراه حقا قد حصل على هذه الدرجة الواحدة أم قد منحها له رئيس الجامعة؛ بسبب القرابة المباشرة بينهما، لقد تجاوزوني لأنني لا ظهر لي على الرغم من أنني قد تجاوزته بكثير.

أفلتت مني تنهيدة بصوت مرتفع أعقتها بقولي:

_ الحمد لله على كل حال!

_ فريدا! فريدا!

كررها ضياء بصوت مرتفع، بينما أخذ يلوح بيديه أمام عيني

_ أين ذهبت؟ أنا هنا.. أتحدث إليك.

_ عفوا يا ضياء لقد شرد ذهني ولم أسمع ما قلته
لي.. ماذا كنت تقول؟

_ كنت أسألك أين تعمل الآن؟

قلت غير مبال: ولماذا تسأل؟ وماذا يهم؟

بدت على وجهه أمارات العجب، وقال محاولاً
أن يبدي ابتسامة لكنها كانت حزينة:

_ فقط أحب أن أطمأن على أخبارك يا رجل،
ما بك؟

طأطأت رأسي، وقلت بصوت بائس يفيض
باليأس:..

_ لن يسرك أن تعرفها، على كل حال.. ليست
بالأخبار السعيدة أبداً.

بهتت الابتسامة على وجه صديقي، وسألني
متعاطفاً أو مبدياً بعض التعاطف الذي يفرضه
أصول اللياقة والتهديب:

ولماذا؟ ما الذي دهاك يا فريد؟ لست فريد القوي
 الوثائق من نفسه الناجح المبتهج الذي عرفته في
 الجامعة؟ ما الذي أصابك وغيّرك على هذا
 النحو؟ ولماذا يكسو اليأس وجهك وألمح خيبة
 الأمل، وربما الانكسار أيضا خلف نظراتك،
 لست فريد الذي عرفته أبدا! ثم ما هذه الثياب
 التي تلبسها؟ ليست هذه الثياب التي اعتدنا أن
 نراك بها، فلقد كنت دوما متأنقا ومحافظا على
 مظهرك وجودة محياك!

أشحت بنظري بعيدا عن نظراته الثاقبة، وقلت
 بغير اكترات:

إنها قصة طويلة ومحرزنة أيضا، لن يسرك
 سماعها، فلا تشغل بالك بي.

أحب أن أسمعها، ولكن دعنا نجلس أولا، هل
 أنت تعمل في هذا المكان، أم أنك قد تزوجت

وانتقلت للإقامة هنا، لم أرك بهذه المنطقة من قبل مع أنني أعمل هنا منذ مدة طويلة.

_ لا بالطبع أنا لا أقيم في هذا المكان، كما أنني لا أعمل فيه أيضا.

ومن أين لي أن أقيم في مثل هذا المكان؟ وهل أجد ما أدفع به ثمن الإقامة في مثل هذا الحي؟

_ إذن إلى أين أنت ذاهب؟ هل ستزور أحد أصدقائك هنا؟

أطرقت برأسي قليلا، ثم تنهدت وقلت:

_ بل إنني ذاهب لزيارة أحد المحتالين مصاصي دماء الفقراء.

قهقهه ضياء قائلا: هل تمازحني يا رجل؟

_ بل أقول الحقيقة! أنا ذاهب لزيارة صاحب مقهى قريب من هنا، يساعد الشباب الراغب في الهجرة لإيطاليا.

بَدت على وجهه ملامح الارتياح مما قاتته،
وصرخ في وجهي حانقا:

هل أنت مجنون؟ هل تتوي أن تسافر سفرا
غير شرعي؟ هل أنت جاد فيما تقول؟

نعم. أنا جاد تماما.

لأنت ملامحه قليلا، لعله رأى الأسى واليأس
يستبد بي، فتحول معه غضبه لشفقه

هل ستلقي بنفسك في البحر للموت أو الحبس؟

وماذا علي أن أفعل؟ هل وجدت أمامي سبيلا
لسفر أكثر احتراماً للأدمية، إنه الطريق الوحيد
للخروج من كل المآزق المحيطة بي من كل
جانب.

هل تريد أن تموت غرقاً يارجل على سواحل
إيطاليا؟ ما الذي تفعله بنفسك؟

_ هذا أفضل من الموت البطيء في أزقة القاهرة
الخانقة.

ربت على كتفي وهو يقول:

_ كلامك عجيب جدا.. ولكن هيا بنا الآن، أنت
اليوم ضيفي على الغداء، وسوف نتحدث طويلا.

رمقه بنظرة غاضبة، عما يظن أننا سنتحدث؟
هل سنجلس لنتسامر حول مآسي حياتي ونجعل
منها قصة مسلية يتسلى بها بينما يتناول غداءه..
قلت له بنبرة لم تخل من الضيق بنما أذفع يده
بفضافة:

_ لا أرجوك.. دعني الآن.. لا بد أن أذهب للقاء
ذلك الرجل.

أمسك بذراعي وشد عليه بقوة، وكأنه شرطي قد
أمسك بلص عتيد

_ لن أدعك أبدا، وسوف تأتي معي إما برضاك
وإما بالقوة.

إنه لطيف معي ويريد أن يرافقتي، ولكنني لست في مزاج يسمح بهذا أبدا، لذا شعرت أنني أبدو قليل الذوق معه، ولكنني رغما عني ما استطعت أن أفعل غير هذا، فقلت له بصوت جاد شابه بعض الحدة:

_ أرجوك اتركني الآن يا ضياء.. أنا مستاء جدا.. ولست راغبا في الحديث أو الزيارة.. كما أن المشكلات تطوقني من كل جانب لذا فأنا في حالة لا تسمح لي بأية زيارة على الإطلاق.

غمزني بعينيه، وقال باسمما وهو يحاول أن يفك عبوس وجهي بيديه

_ وهذا بالضبط ما يزيد إصراري على اصطحابك معي، فلن أتركك الآن أبدا وأنت على هذه الحالة.

لم يغير جو المرح الذي تعامل به معي شيئا، فقلت بنبرة حاسمة:

لن أقدر على زيارتك اليوم.. لكنني ربما
أزورك قريباً إن شاء الله.

ضاقت عينيه ودم شفتيه وهو يحاول ألا يتركني
أفر منه، ثم قال:

إذن دعنا نجلس في أي مكان.

قلت بإصرار: أنا ذاهب للمقهى.

رفع كتفيه مستسلماً لرغبتني.. بعد أن رأى أنني
لن أغير رأيي أبداً، وقال وكأنه مضطر لذلك:

حسناً.. سأتي معك.

أخذ ضياء يختلس النظر لي بين الفينة والأخرى
من طرف عينيه ونحن نسير جنباً إلى جنب،
وكانه يريد أن يعبر عن عدم تصديقه لما آل إليه
حالي أنا، وأعترف أنني للوهلة الأولى التي
وقعت فيها عيني على ضياء قد رأيت بتحسر
بالغ ما وصل إليه حالي، ولم تكن أناقته وحدها
هي ما أثار شجني، على الرغم من الفرق

الشاسع بين هيئتي وهيئته، فقد كان يرتدي ثيابا
منسقة بنطالا أنيقا مع قميص راق جدا، مع
ربطة عنق أنيقة وحذاء لامع وشعر ممشط
بعناية على جانب رأسه، فبدوت إلى جواره في
بنطالي الرث وقميصي المهلهل ونعلي البالي
وشعري ووجهي المغبر كأقل من سائق يقود
شاحنة سيده.. مع أنني كنت في الجامعة أكثرهم
تأنقا وعناية بمظهري.. ولكن لم تكن المشكلة
مشكلة الثياب.. فما أثار شجني وقلب عليّ
أحزاني حقا هو أن من يرانا يعتقد أنه أصغر
مني بعشر سنوات، على الرغم من أننا في نفس
العمر.. وقد تقاسمنا نفس المقاعد بالجامعة منذ
خمس سنوات.. فأنا وهو في السابعة والعشرين
الآن من عمرنا، وقد تخرجنا معا في كلية
الهندسة.. وكنت أكثرهم حيوية وشبابا وأناقة
بخلاف تفوقي العلمي عليهم جميعا.. لكن

الظروف آلت بي إلى ما أنا عليه الآن..
فتدهورت أحوالي..

نعم لديه كل الحق أن يختلس النظر إليّ بعيون
متحيرة.. أراني الآن في عينيه قد صرت عجوزا
في عمر الشباب.. وقد أنك العمل المهيمن
جسدي.. وأحرقت شمس الصيف وجهي
وجلدي.. فمن يراني لا يفرق بيني وبين أي
جاهل لم يلتحق بمدرسة قط.. بينما هو يحافظ
على وجه مشرق وابتسامة حية وجسد قوي
رياضي.. أه يا ضياء لماذا ظهرت اليوم؟ لقد
كنت قد اعتدت على هيئتي تلك ولم أعد أعرها
انتباهها.. ولكنني بعد أن رأيتك قلبت علي
أوجاعي.. وأريتني بعدسة مكبرة مفاعلاته بي
سنوات الشقاء في الشارع.. وكأن هذا ما كان
ينقص يومي الكئيب..

ماكنت أحب أن يراني أحد أصدقائي على تلك الحال أبدا.. لاحظت أنه قد شرد ذهنه أيضا.. تُرى هل يسخر مني الآن في نفسه؟ لعله سيجد اليوم موضوعا مسليا يحكيه لزوجته: "لقد رأيت اليوم زميلا لي في الجامعة كان أكثرنا أناقة وذكاء وتفوقا أيضا.. خمنني كيف وجدته؟ وجدته يسير بثياب مهلهلة.. ومن يرانا معا ربما ظن أنه هو من لمّع لي حذائي..". ثم يقهقه معا.

أفزعني ذلك الخاطر.. فرميته بنظرة ساخطة وكأنه قد فعل ذلك حقا.. لكنه استحي مني لأنه كان يختلس النظر إليّ من حين لآخر.. فبادرني بالكلام ليقطع ثقل الصمت بيننا:

هل تزوجت من ابنة عمك التي كنت راغبا في خطبتها بعد أن تنهي دراستك الجامعية؟

نظرت إليه بعينين يملؤها الحزن

تزوجت؟! هل أنت تمازحني؟

ثم تبسّمت رغم ألمي وتتهدّت بعمق ثم قلت بصوت خفيّض وكأنني أحدث نفسي لا أحدثه هو:

أنا لا أمل لي بالزواج أبداً، ولم تعد هذه الفكرة تخطر حتى على بالي، لقد طارت كل الأحلام الجميلة بعيداً عني، العمل.. الدراسة.. الزواج.. الحياة الكريمة.. وحلت محلها الكوابيس فقط.. هل تعلم كم يكلف الزواج اليوم، فمن أين لي بمسكن وأثاث وذهب وزفاف، ثم من أين لي بمصاريف أسرة جديدة؟

تتهدّت حزينا.. ثم تابعت بصوت خفيّض منكسر
إنها مسؤولية كبيرة، وأنا حتى لا أجد لنفسي عملاً محترماً يسمح لي بتحمل نفقات أسرة.

قلت هذه الكلمات ثم تقدمت بخطوات واسعة نحو المقهى الذي صار أمامي أخيراً، لعله سينقذني من تلك الأسئلة التي أرجو أن أهرب منها

سريعا، أسرع مجتازا المقاعد المتراسة واثبا
 لنهاية المقهى حيث وجدتي وجهها لوجه مع
 رجل يجلس خلف منضدة صغيرة، كان ذلك
 الرجل سمينا ذا ثوب واسع وشارب طويل.. يلف
 حول رأسه عمامة ويضع رجلا على رجل..
 فلما اقتربت منه قلت محييا

_السلام عليكم يا معلم زينهم.

لمحني بطرف عينه من دون أن يجيبي.. فقد
 كان مشغولا بتقليب حجر الشيشة أمامه.. ثم أخذ
 ينفخ في الخرطوم الطويل وينثر الدخان الملوث
 في الهواء.. فلما فرغ.. نظر إليّ من فوق
 نظارته نظرة متفحصة غير مبالية، ثم صرف
 نظره عني وكأنني لا أستحق حتى مجرد انتباهه
 فضلا عن رده.

ثم نظر لصديقي المهندس نظرة أخرى متفحصة
 وكأنه يقيّمه، ثم ابتسم وقال له هو:

و عليكم السلام.. أهلا ومرحبا يا أستاذ، هل من خدمة يمكنني تقديمها لك؟

إنه المعيار الذي يحكم به الناس على من حولهم، إنها المظاهر.. والتي ما عدت أملك منها شيئا قد يجلب لي احترام الآخرين ولو كان هذا الرجل التافه.. لا عجب إذن في سلوكه المهين معي..

طأطأت رأسي خجلا وتهدت أسفا لما آل إليه حالي.

نظر ضياء إليه شزرا، ولا أعلم أفعل ذلك لاشمئزازه من هيئته السيئة أم ردا على إهنته لي بتجاهلي، ولكنني سعدت بتصرفه هذا كثيرا، فلقد رد لي بعض كرامتي، فكأنه يقول له لاتستحق أن أكلمك كما قالها لي هذا السمين بتجاهلي منذ قليل، ثم قال له حانقا ومشيرا باتجاهي:

لست أنا من يكلمك.. إنه هو.

أعاد الرجل نظره نحوي مرغما، أنا الشاب رث الثياب، وكلمني وهو غير مكترث بي على الإطلاق، فقال ضجرا بصوت منتفخ كانتفاخ بطنه، لا أعلم حقا من أين يخرج:

__ ماذا تريد؟

أجبتة بدوري ممتعضا، فما كنت أستطيع بعد كل تلك المعاملة الجافة المهينة أن أبدو لطيفا معه:

__ أريد أن أسافر لإيطاليا.

نظر إليّ نظرة تقييمية تفحصني بها من أعلى إلى أسفل وكأنني بضاعة يقيمها ليعرضها في سوق النخاسة، ثم سحب نفسا عميقا من شيشته الملوثة، ثم نثر الدخان في الهواء ببطء شديد، وكأنه يتعمد أن يتلف أعصابي ببروده الزائد وعدم مبالاته بي، ثم ومن دون أن يكلف نفسه برفع رأسه أو توجيه نظره إليّ قال:

__ الرأس بخمسين ألفا.

أعترف أن كلمة "الرأس" قد جرحتني كسكين
 بنصل حاد غرس بين لحمي وعظامي، ولكنني
 لست هنا لألمي شروطي بل لأتلقى شروطه،
 وما الذي سيهمه هو من مشاعري وما يجرحها
 وما يؤلمها؟ وهل يحس الجلاد بمشاعر ضحيته
 التي يجلد بها بلا شفقة ولا رحمة؟ وهل يحس هذا
 القاتل بمشاعر القتيل الذي سيرميه في عرض
 البحر ليموت رخيصة؟ ولكن ضياء ما كان يملك
 ذلي وانكساري أمام ذلك الرجل غليظ المشاعر
 عديم الرحمة، فثارت ثائرتة، وصرخ فيه:

_الرأس؟! وهل تظن نفسك تبيع العجول في
 السوق؟ ألا تستطيع أن تكون مهذبا في كلامك؟
 نظر له المعلم زينهم بيروود وهو يقتل شاربه
 المتدلي على شفثيه بيده، ثم قال بلهجة المستغني:

_ عفوا ياأستاذ لاتغضب، إنها لغة السوق.. فإذا
كانت لاتعجبك لغتي لا تعطل أعمالك واذهب من
هنا.

وفجأة جذب ضياء ذراعي بقوة وأخذ يسحبني
للخارج، مدمدما:

_ معك حق.. هيا يافريد لا تضع وقتك في هذا
المكان المقزز، هيا!

جذبت ذراعي من بين يديه بمشقة، وقلت له
راجيا:

_ انتظر ياضياء أرجوك!

وأكملت فيما بيني وبين نفسي:

“أنت لا تملك ظروفى ولا حاجتى”

ثم التفت للرجل الملقى على الكرسي ببطنه
المتدلي وشاربه الطويل، قائلا:

ما الذي تقوله يارجل؟ هل تعتقد أنني أملك كل هذا المال؟ وهل تعتقد أنني لو كنت أملك خمسين ألفا كنت لأفكر بالسفر بتلك الطريقة الخطرة؟!

قال بصوت يثير الاشمئزاز:

لا تستعجل يا أفندي، لن آخذها منك الآن كاملة، سأخذ منك ثلاثين ألفا فقط، وتسدد لي الباقي بعد وصولك لو وصلت سالما.

ثم ضاقت عينيه ورفع إصبعه متوعدا وقال لي بطريقة مستفزة:

ولكن احذر، فلو لم ترسل لي الباقي في مدة لا تتجاوز ثلاثة أشهر فإن أتباعي هناك سوف يعثرون عليك، وبقطعة من المخدر سوف تضبط وتلقى في السجن، فلا مجال للهروب، ثم يتم ترحيلك، وحينها...

ضرب المعلم بيده السمينة على صدره
وارتسمت على شفثيه التي لونها الشيشة بلون
داكن ابتسامة خبيثة شامتة .. ثم تابع:

ـ وحينها تعود إليّ من جديد.. ولا أحب أن
أخبرك بما سيحدث بعده.

عند هذا الحد يبدو أن ضياء قد فقد كل مقدرته
على السيطرة على أعصابه، فصرخ بي:

ـ هيا يافريد، إنها مافيا اتجار بالبشر
وبالمخدرات وبكل شيء، هيا يافريد لاتضع
وقتك معه أكثر من ذلك.

قال المعلم متبجحا:

ـ لماذا أنت غاضب يا أستاذ؟ لو كنت ستسافر
معه سأعطيك خصما، فكلما زاد العدد قل السعر.

ثم ابتسم كالأفعى التي تبتسم لصيد ثمين أمامها
متحينة فرصة الانقضاض عليه.

لم يُعر ضياء أي انتباه لذلك الرجل الضخم القابع خلف طاولته الصغيرة في ذلك المقهى، وأخذ يحاول إبعاد الدخان الملوّث عن وجهه، وهو يتمتم لنفسه منزعجا:

_رجل استغلالي.

ولكنني لم أستسلم بعد، فقلت له راجيا:

_أنا لا أملك كل هذا المال، ولو كنت أملكه ما فكرت في السفر

قال المعلم زينهم بصوته الأجلش عبر شفّتيه المطبقتين على خرطوم الشيشة القدر:

_وهل تريد مني أن أمنحك منحة مجانية للسفر؟ أم تراني أفتح مكتبا للصدقات

كانت كلماته مهينة جدا، تخزني كالسكين، ولكنني كنت قد صرت أشبه بإنسان فقد قدرته على الإحساس من كثرة الضرب، فلم أعر

وخزات السكين انتباها كثيرا، وواصلت إلهامي
أو استجدائي منه:

كنت أريدك فقط أن تخفف النفقات، وتسهّل
أمر سفرى، وأنا أؤكد لك أنني سأرسل لك كل
ما قدّمته لي بمجرد أن أستطيع العمل وادخار
المال.

تبسم الرجل ساخرا، وكانت أقسى الوخزات التي
آلمتني أنه لم يكتف بالسخرية حتى وجّه لي
اتهاما لاذعا بين سطور كلماته لم أتحمّله حقا:

نعم نعم، وسوف تزيد لي على ما دفعته أيضا
شكرا لي على مساعدتك، أليس كذلك؟ أنا
أعرف هذه القصة جيدا، لقد سمعتها مئات
المرات.

لقد أغضبني كلامه كثيرا وقد لمحت نبرة الاتهام
في صوته القاسي، فلقد كنت حريصا طيلة
سنوات عمري على ألا أخون الأمانة مهما

حدث، وقد حرصت على حفظ الأمانة حتى في أحلك ظروف وأشدّها حاجة.. حاولت الدفاع عن نفسي ولكن عبثاً، فقلت له:

أنا لست مخادعا، وسوف أعطيك كل الضمانات التي ترغب فيها.

كان رده هذه المرة محقرا ومهينا بما يزيد عن طاقة احتمالي:

اسمعي يا ولد؛ إذا كنت راغبا في السفر حقا، فعليك أن تجهز أموالك وجواز سفرك قبل أن تريني وجهك الكالح مرة أخرى، وإذا لم تكن راغبا في ذلك، فاذهب من هنا ولا تضيع وقتي، فأنا لا أوزع منحا مجانية للسفر، هل فهمت؟ كما أن شكاك هكذا.. لا يبدو لي أنك تصلح للسفر أصلا.. هيا أرني عرض قفاك يا ولد قبل أن أنادي على برعي.

ألقى عليّ كلماته كالصخور التي تتساقط فوق رأس مثبت على الجدار واحدا تلو الآخر، ثم تجاهلني الرجل ولم يعد يعيرني أدنى اهتمام، وكأنني كلب شارد أنبح عند قدميه، وأمسك بأداة معدنية أخذ يسوي بها قطع الفحم المحترق.. وهو يتابع النفخ في شيشته.. فلم أتمالك نفسي واحمر وجهي، وكدت أن أبكي من الغضب والحزن، والشعور بالمهانة والإذلال.. ولكنني لم أتحرك من مكاني، بل بقيت محدقا في الرجل وأنا أكاد أنفجر غيظا..

وبصراحة لا أعلم ما الذي ثبتني في مكاني هكذا، وما الذي كنت أنتظره منه حقا، فهل كنت أتوقع منه أن يشفق على ظروفي، هو رجل السوق القاسي الذي لا يعرف سوى لغة السوق والمال والذي يتعامل مع الناس على أنهم بضائع يربح منهم مالا لأكثر ولا أقل، أم أنني كنت أنتظر منه اعتذارا وكلمة عطف يمسح عني

شعوري بالخزي وخيبة الأمل وإهدار الكرامة..
بصراحة لم أملك من الشجاعة ما يدفعني لكلمة
أخرى ولا حتى لخطوة أخرى، ولكن ضياء الذي
كان يراقب ملامح وجهي الغارقة في صراع
المشاعر المؤلمة شد على يدي وجذبي للخلف،
فاندفعت خارجا معه من ذلك المقهى، وأنا أشكر
له للمرة الثالثة موقفه الذي ساعدني على
الخلاص من حيرتي وارتبائي وعلى الخروج
من أمام تلك الصخرة الجالسة هناك في آخر
المقهى على شكل إنسان.

بمجرد أن خرجنا وتنشقنا هواء نظيف.. أخذ
يحدثني بصوت مشفق متألم لأجلي أحسست فيه
الصدق والحب:

اهداً يافريد، مابك؟ ما الذي أوصلك إلى هذا
المكان، وإلى مثل هذا الرجل الذي يستغل أحلام
الشباب ويبيعهم للموت، هل فقدت عقلك؟ أين

فريد الذي كان يسمنا حكما في الجامعة، ونتعلم منه دروسا عن الحياة والتفؤل والنجاح؟

كنت منذ قليل أحاول أن أهرب من أسألته، ولكنني عند ذلك الحد وجدت نفسي أسكب حياتي الضائعة أمامه قطرة قطرة، وكأنني أزيح هما ثقيلًا عن كاهلي وأضعه في مكان آخر ولو لبعض الوقت.. فقط لكي أمشي خفيفًا من حمولي، فاندفعت الكلمات من فمي لم أستطع أن أوقفها، وما كنت راغبًا في إيقافها حقًا، فقلت بنبرة يملأها الأسى:

فريد الذي تتحدث عنه قد مات.. لقد قتله الظلم والحزن واليأس.

ثم مسحت دموعًا تتناثرت على وجهي بطرف أصبعي، وحنيت رأسي للأرض وقد فتّ اليأس في نفسي، وتنهدت بعمق، ثم أخذت أتابع حديثي

بصوت هامس منكسر، وكأنما أحدث نفسي،
ولكنني أعلم أنه ينصت جيدا لكل كلمة أقولها:

لقد مات يوم فوجيء بضياح حقه في العمل
بالجامعة، فقط لأنه لا ظهر له ولا وساطة، وأخذ
حقه ابن رجل ثري ذي نفوذ ومكانة مع أنه لا
يستحق ذلك المكان..

لقد مات يوم أن أصيب أبي بحادث خطير حطمه
وحطم معه سيارته التي كان يعمل عليها
ويعولنا، ثم أفلت الجاني؛ لأنه قد دفع رشوة
كبيرة، فانحرفت ملابسات القضية، وصار أبي
هو المخطيء، وضاعت حقوقنا، وخرج الجاني
ليعيش حياته بصورة طبيعية.. وكأنه لم يزهق
روحا ويحطم أسرة..

لقد مات يوم تحمل مسئولية أسرة كاملة، فاضطر
أن ينسى أنه مهندس متفوق، ورمى بنفسه في
الشارع أمام صندوق من البضائع الرخيصة،

لكي يأتي رجل جاهل يرفسني بقدمه ويحطم
بضاعتي على الأرض لأنني فقير..

لقد مات يوم أصيبت أمي بالسرطان بعد موت
أبي وطول حزنها عليه، ورأيها تذبل أمامي
وتذوي، واضطررنا لبيع قطعة الأرض التي
كانت لدينا، وظل الكيماوي البائس يأخذ من
صحتها وجسدها، ينهك فيها وفينا من دون أمل
في الشفاء..

بل إنه يموت كل يوم وهو يرى نظرة الانكسار
في عين أخته المخطوبة منذ أربع سنوات، وقد
دفعنا كل المال الذي ادخرناه لزواجها لأجل
علاج أمي.. بينما بقيت هي غير قادرة على
نكران حزنها وألمها وخجلها من خاطبها وأهله.

إنه يموت كل يوم وهو يرى أخاه الأصغر يذهب
لمدرسته بثيابه القديمة البالية، وخذائه الممزق
وعليه مسحة الذل والانكسار، ويراه وهو الذي

كان أكثر أقرانه ذكاء وتفوقا يتأخر عنهم لعدم
مقدرته على شراء كتاب خارجي فضلا عن أن
يدفع ثمن الدروس الخصوصية لأولئك المدرسين
الذي لا يعرفون معنى الأمانة ولا شرف المهنة..

لقد مات يوم رُفض على أبواب الشركات، لا لقلّة
كفاءته، وإنما لفقره ومظهره البائس، ولأنه ليس
لديه من يتوسط له ليعمل في هذه الشركة أو تلك.

لقد مات فريد الذي تبحث عنه ولم يعد موجودا،
إن فريد الموجود الآن هو فريد المحطم المنهار،
فاقد الثقة والأمل.

اغرورقت عينا ضياء بالدموع، وقال متألما:

أه يافريد، أكل هذا تعاني منه وحدك، لقد
تساءلنا جميعا لماذا لم تعد تلتقينا، ولماذا اختفيت
من حياتنا ولم نعد نسمع أية أخبار عنك.. فلماذا
لم تحاول أن تتصل بأي منا؟ لماذا لم تطلعنا على
أحوالك يارجل؟

توقفت عن السير فأجبرته على التوقف، وقابلت وجهه بنظرة حادة وأنا أقول له:

ولماذا كان عليّ أن أفعل ذلك؟ الأريق ما بقي من ماء وجهي مستجديا المساعدة؟ أم لأحظى ببعض نظرات الشفقة وكلمات المواساة العقيمة التي تطعن في نفسي كالخناجر؟

تغيرت تعابير وجهه بشكل متتابع من الذهول للصدمة ثم للغضب والحزن، وكأن كلماتي قد جرحته جرحا عميقا أو صدمته صدمة لا يستطيع تحملها، ولكنه لم يزدد معي إلا رقة، وقال بصوت حنون:

بل لأننا كنا إخوة، وليس من حق الأخوة أبدا أن نتركك تمر بالأزمات وحدك، ولا نمد لك يد العون، نحن إخوة يافريد، ولو كان أي منا يمر بما تمر به أنت الآن لكنت أولنا مسارعة

لمساعدته، فلماذا تقول هذا الكلام الذي لا معنى له؟

صمت قليلا.. ثم استأنف كلامه بصوت واثق:

ومع ذلك.. فأنا أرى أنك تمر بشيء آخر هو أسوأ من كل مذكرته لي، وأنت حتى لا تشعر به.

تابعت سيري.. فتابع، وكنت أنظر حولي فيما تحمله الشوارع من متناقضات لا تجتمع، ثم أشرت إلى الطريق حيث كان إلى جوارنا رجل مسن قد انحنى ظهره وبدت على وجهه ملامح الشقاء والتعب وهو يعتلي عربته التي يجرها حمار عجوز مثل صاحبه.. ويبيع عليها بعض الخضر الورقية الرخيصة التي يقتات منها هو وأسرته، بينما مرت للتو إلى جواره سيارة باهظة الثمن يجاوز ثمنها نصف المليون يركبها شاب في مثل عمرنا تقريبا أو ربما أصغر..

يرتدي ثيابا فاخرة جدا وعطره قد فاح ليصل
إلينا من نافذة سيارته الفارهة، فقلت:

_نعم، وأنا أعرفه جيدا... لأنني أعيش في بيئة
خانقة، تقتل الأحلام في مهدها، وتدفن أصحاب
الضمير الحي، بينما يعيش الخائنون عيشة
هانئة، وتفتح الأبواب لأولئك الذين يستعبدون
الناس ويستغلون الظروف السيئة ويتسلقون على
أكتاف غيرهم.. أو حتى على أشلائهم أحيانا.

هزّ ضياء رأسه مستاء مما قلته، وقال لي بنبرة
مؤنبة:

_لا يافريد.. أنا لا أوافقك على هذا الكلام،
صحيح أن البيئة التي نعيش فيها.. فيها أمور
خانقة كما تقول، ولكننا جميعا نعيش في نفس
البيئة التي نتحدث عنها، ومع ذلك فبعضنا ينجح،
وبعضنا يبقى حبيس مكانه وظروفه ومشكلاته،
إن الله جل جلاله لا يحاسبنا على ما وضعنا فيه

من الظروف، بل على ما نضع فيه أنفسنا.. على أفكارنا وسلوكياتنا.. إن هذا المجتمع الذي تدمه هو نفس المجتمع الذي نعيش فيه جميعا، فلماذا وصلت أنت وحدك إلى هذا المكان من دوننا جميعا؟

شعرت بالحنق لأنه يقارن بيني وبينه، وظهر الحنق رغما عني في صوتي وكلماتي الساخطة:

_اسمع يا ضياء.. لسنا مثل بعضنا أبدا.. لا يزال أبوك موجودا، وأمك بصحة وافرة، ولا يزال أبوك يعول أسرته أليس كذلك؟ بل إنه قد ساعدك على زواجك أيضا، وبالتأكيد فقد ساعدك على العمل الذي حصلت عليه، إن ظروفك فقط أفضل من ظروفك، أما أنا فقد غرقت في المشكلات.. فصرت عجوزا وأنا بعد في ريعان شبابي وفي أجمل سنوات عمري.

لم يظهر على وجه ضياء الاستياء الذي توقعته منه، ولكنه كلمني بحكمة وتفهم احترمتهما فيه كثيرا:

ربما بعض ما تقوله صحيح فقط، ولكن أبي لم يساعدي على الزواج أو العمل كما تزعم، فلقد استعنت بربي وبحثت وثابرت، وكنت مملوءة بالإصرار والتفاؤل حتى حصلت على وظيفتي التي كنت أحلم بها، وترقيت في درجاتها بتوفيق الله ثم بكفائي فقط، وليس بأية واسطة، كما أن أبي لم يساعدي على الزواج أيضا، فلقد قبلت زوجتي أن نبدأ حياتنا بالأمور الضرورية فقط، ثم نكمل ما نقص شيئا فشيئا، لقد كانت زوجة رائعة حقا، ذلك لأنني اخترتها على أساس دينها وخلقها قبل أي شيء آخر، فكانت حريصة على أن يكون زواجنا يسير التكلفة، وكانت تردد دوما: أعظمن بركة أيسرهن مؤونة، ولهذا لم تُعر أمر الذهب أي انتباه، كما أن حفل زواجنا

كان متواضعا خاليا من البهرجة والمحرمات،
 وأما الأثاث؛ فهل تتصور أننا قد تزوجنا في شقة
 خالية من الأثاث تقريبا إلا من فراش وخرانة
 ملابس صغيرة وسجادة مستعملة، مع بعض
 الأجهزة الكهربائية الهامة فقط وأدوات المطبخ،
 وقد استعرنا حجرة الصالون من أبي لنستقبل
 فيها الضيوف بعد زفافنا، ثم بدأنا نكمل تأثيث
 منزلنا شيئا فشيئا، لم نياس ولم نستسلم أبدا.

ثم لم تكن حياتنا مفروشة بالورود كما قد يخطر
 ببالك، فالمشكلات قد طاردتنا كما تطارد الجميع
 ولكننا لم نستسلم لها.. هل تعلم أننا كنا نعاني
 عند الأطباء لأجل الإنجاب لمدة طويلة أيضا،
 حتى رزقنا الله بتلك الطفلة الرائعة الجميلة، لقد
 اضطررنا للغرق في أحوال الديون وضيق ذات
 اليد أيضا حتى اضطررنا أحيانا أن نبيت من
 دون عشاء أو أن نأكل الخبز فقط، ولكننا ثابرتنا
 لأجل هدفنا، وهاهو ذي يتحقق شيئا فشيئا.

فالزمن جزء من علاج كل المشكلات التي نمر بها يا فريدي، لم يخلق الله السموات والأرض في لحظة واحدة مع قدرته على ذلك، ولكنه خلقهما في ستة أيام.. أنت مستعجل وتريد كل شيء في وقت واحد... ثم تسقط صريع الشكوى والألم والإحباط.. لأن مشكلاتك لم تجد لها عصا سحرية لتخلصك منها.. ما هكذا تسير الحياة أبدا.

إن الكآبة التي تعيش فيها.. التشاؤم.. الأفكار السلبية التي تحيط بك من كل جانب.. هي السبب الأول فيما تعانيه أنت من مشكلات.. وهي التي قادتك لهذه البقعة المظلمة التي لاتستطيع الخروج منها الآن.

إن الأفكار السلبية مدمرة.. لذا يجب عليك أن توقفها فوراً.. قبل أن تحطّم ما بقي من عزيمتك.. وتفسد كل شيء جميل حقا في حياتك.

تذكر...

الأفكار السلبية التي تطوق عقلك..

هي السبب الأول فيما تعانيه من مشكلات..

أحبة الضاد

الفصل الثاني

أحبة الضاد

اجعل نظرتك ايجابية وإياك أن تفقد الأمل

قيل: "السعادة هي حالة عقلية".

كانت كلماته تنساب عبر شفثيه كالطرقاات على رأسي، هل كنت أنا المخطيء حقا، وهل كنت ضحية نفسي لاضحية غيري، ضحية حماقتي وسوء تقديري، أردت أن أرفض وأن أصرخ وأن أقول له أنت واهم، أن أبقى الضحية، ولكن كلماته مست قلبي، لقد أحسست بالصدق في تلك الكلمات، فوجدتني رغما عني أذعن لما قاله، وأسأله:

ولكن كيف سأوقف الأفكار السلبية... بينما أنا أقف في وسط الريح التي تعصف بحياتي بأكملها.. وتقلبها رأسا على عقب..؟

ظننته سيتراجع، ولكنه أجابني، وكانت إجابته قوية وصوته واثقا، لم يهتز أو يظهر بعض

التراجع، لقد كان واثقا مما يقول، ومست كلماته قلبي أكثر، بل عصفت به هذه المرة:

لست وحدك تعاني منها.. فالجميع يعاني من المشكلات.. ولكن.. بعضنا يغرق فيها، وبعضنا الآخر يسبح ويثابر.. ويقاوم التيار بقوة.. حتى يصل لشاطئ النجاة.. إن الجميع يمر بظروف صعبة، قد تختلف في نوعها وشدتها أيضا، لكن الاختلاف الأهم هو أثرها علينا، وهو تابع لطريقة نظر كل منا لما نمر به من مشكلات.. ونظرتنا للمشكلة ستتغير بالضرورة.. إن فهمنا أن المشكلة هي مجرد مرحلة.. نمر بها فتنقلنا لمكان آخر.. قد يكون مكانا أفضل أو أسوأ، ولكن هذا تابع لما نفعله حيالها.. تابع لاختياراتنا.. لقراراتنا ولنظرتنا للأمور.. هل تفهم؟..

صمت ثم حدّق فيّ منتظرا جوابي، لقد أصابتني كلماته بالحيرة، ولكنني بقيت أتساءل، لعلني أجد الإجابة التي تريحنني وتنتشلي مما أنا فيه، فأجبتة:

ليس تماما.. فأنا أرى أن المشكلة هي التي تفرض علينا نظرتنا لها.. هل تعتقد أن بإمكانني أن أرى أن المشكلات شيء مبهج أو رائع مثلا؟

ليس عليك أن ترى أن المشكلة شيء مبهج أو رائع، ولكن يمكنك أن تركز على الروعة في قلب محنتك.. وذلك بأمرين: الأول أن ترى ذلك الشيء الذي تبقى لك ولم تفقده بسبب مشكلك.. فتركز عليه، وتشكر الله على بقائه..

مثل قصة عروة بن الزبير في تعامله مع بلائه، فلقد فقدَ ولده وساقه في يوم واحد. لكنه بدل أن يركز على ما فقده ركز ممتنا على ما بقي له،

فحمد الله أن أخذ واحدا من أولاده وأبقى له ستا،
وأنه أخذ طرفا واحدا من أطرافه وأبقى له ثلاثا.

قلت بذهول: بصراحة يا ضياء نظرة عجيبة
للمشكلة، فجميعنا قد اعتدنا على مسارعة
التحديق في الجانب الذي ينقص عندنا، ولا ننظر
للجوانب الباقية.

قال متتهدا: نعم صحيح يا فريد، مشكلتنا الدائمة..
النظر لنصف الكأس الفارغ والتركيز عليه..
ولكن هذا التصرف خطير جدا.. لأنه يجعلنا
ننسى مالدينا، ونركز على ماينقصنا.. فيفقدنا
ذلك إحساسنا بالنعمة التي لدينا.. فنفقد شعورنا
بالسعادة، ونفقد لذة الحياة، ونفقد معها شجاعتنا
وصبرنا وقوتنا.. لكن التركيز على ما بقي لدينا
هو التصرف الصحيح، وهو التصرف الأصعب
الذي لا يقدر عليه إلا الأشخاص الإيجابيون حقا،
وكلماركزوا على ذلك الجانب الموجود ازدادت

سعادتهم وشعورهم بالرضا والاكتفاء.. ولو كان ما فقدوه أضعاف ما هو باق عندهم حقاً.. ومن ذلك قول شريح: "إني لأصاب بالمصيبة فأحمد الله عليها أربع مرات: أحمده إذ لم تكن أعظم مما هي، وأحمده إذ رزقني الصبر عليها، وأحمده إذ وقَّفتني للاسترجاع لَمَّا أرجو فيه من الثواب، وأحمده إذ لم يجعلها في ديني. وتحضرنى في هذا الأمر أيضاً قصة عجيبة حقاً: "كان أحد السلف.. أبرص البدن.. أعمى العينين.. مشلول القدمين واليدين.. وكان دائماً ما يقول: "الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيراً ممن خلق، وفضلني تفضيلاً"، فمر به رجل فسمعه يقولها، فقال له: "ويحك! من أي شيء عافاك؟ فقال له الرجل العاقل الصابر الذاكر: إليك عني يابطال، أوليس قد ترك لي لساناً ذاكراً.. وقلباً شاكراً.. وبدناً على البلاء صابراً؟"

انظر كيف يكون التركيز على النعمة، والرضا حتى بأسوأ الظروف.. وكيف يرفض من يحوّل بصره عن النعمة للتركيز على المحنة، ويراه رجل سوء بطل يلقي به في المهالك، وهي حقا مهالك أن نضع تركيزنا على مشكلاتنا فتتأزم حياتنا منها

أمر عجيب أن يكون في الناس من هم على هذا الحال، أخبرني إذن.. وما الأمر الثاني الذي يمكنني التركيز عليه في مشكّلاتي ليخفف من وقعها علي؟

الأمر الثاني هو رؤية الأمل يافريد.. أن ترى في المشكلة ذاتها منحة تقودك نحو التغيير الإيجابي، أن ترى فيها ما سوف تراه حين تنظر لمشكّلاتك بعد سنوات.

ماذا تقصد بهذا الكلام العجيب؟ ما الذي يمكنني أن أراه في مشكّلاتي بعد سنوات؟ هل

سأنظر إليها لأقول مثلا يالها من أمر جميل، إنها
لم تكن مشكلة بالمرّة؟

لم أقل أنك ستري أنها لم تكن مشكلة، ولكن..
ربما أحيانا تكون المشكلة التي نقع فيها والمحنة
التي تعترضنا بداخلها هي السبب في تقدمنا
وتفوقنا، وحين ننظر إليها بعد سنوات من
المعاناة والتعب نقول من أعماقنا كما قال ذلك
الدكتور الراحل إبراهيم الفقي - رحمه الله: "لقد
كانت أحسن شيء في حياتي!

كلامك عجيب.. ويحتاج لشرح وتوضيح عميق
أيضا.. كيف تكون مشكلاتي التي تدمر حياتي
هي أحسن شيء في حياتي؟ أرجوك اشرح لي.

ان المشاكل بقدر ماتوّلّمنا وتضجّرنا، هي
تقوينا وتطورنا، انظر لبعض مرضى السرطان
كيف يتحولون بعد معافاتهم منه لأناس
متحركين، ييئون الأمل في نفوس المرضى

ويأخذون بأيديهم نحو الشفاء، وانظر كم ممن عانى في صغره من الفقر والحاجة فتحول في كبره بعد أن أصبح ثريا لأن يكون خادما نافعا لمجتمعه ويكون أكثر حساسية لحاجة الفقراء والامهم.. أو كم ممن دفعه فقره وحاجة أهله لأن يصير حريصا على النجاح والتفوق وحتى النبوغ.

_ هل تحضرك الآن قصة محنة تحولت في حياة صاحبها لمنحة لتخبرني بها؟ فأنا بحاجة لدعم قوي لكي أستطيع أن أغير نظرتي حقا تجاه مشكلاتي.

_ في الحقيقة تحضرنى الكثير من القصص كقصة أرض الثعابين وقصة صانع بنطال الجينز، ولكنني سأقص عليك قصة، ربما هي الأقرب لحالتك الآن. إنها قصة العامل الذي لا يملك بريدا إلكترونيا.

منحته كامل انتباهي وقلت بشغف ولهفة:

وما تلك القصة؟"

إنها قصة رجل حدثت له مشكلة، كانت مشكلاته سببا حقيقيا لنجاحه وتفوقه في الحياة، فلقد كان عاملا فقيرا كل همه أن يجد عملا مناسباً لمستواه، فحرص على التقدم لشركة مايكرو سوفت ليصير عامل نظافة فيها، وفي المقابلة التي جرت بينه وبين المسئول عن التوظيف قال له: اترك بريدك الإلكتروني لنرسل لك، فقال له إنني لا أملك بريدا إلكترونيا، فقال له المدير: من لا يمتلك بريدا إلكترونيا ليس موجودا ولا يستحق العمل، فانصرف الرجل منكسرا متحطما، فلقد كان بحاجة ماسة لذلك العمل، وما كان في حوزته إلا عشرة دولارات فقط..

عند هذه النقطة يقف الكثير من الناس متحيرين تائهين، لا يعرفون كيف يتقدمون، لكن هذا الرجل

اللييب أحسن التفكير في الأمر فحوّل أزمته لمنحة كبرى، فبينما هو يمشي منكسر خاطر إذ خطرت له فكرة كانت سبب تحول حياته، ولأنه إيجابي حقا فقد قرر ونقّذ ولم يقف مكتوف اليدين بيكي على فرصته الضائعة ويندب حظه كما يفعل شباب اليوم، لقد تحرك فورا وكانت حركته سبب نجاحه وتغير ظروفه، فذهب الرجل إلى متجر الخضّر، وابتاع صندوقا من الطماطم، ثم أخذ يتنقل في الأحياء السكنية ويمر على المنازل ويبيع حبات الطماطم بسعر يزيد قليلا عن ثمنها بالمتجر، لأنه يوصلها حتى المنزل، ففرغ الصندوق بسرعة، فعاد واشترى غيره وواصل مروره على المنازل، فنجح في مضاعفة رأس المال وكرر نفس العملية ثلاث مرات إلى أن عاد إلى منزلة في نفس اليوم وهو يحمل ستين دولارا بدل العشرة، أدرك الرجل بأنه يمكنه العيش بهذه الطريقة فأخذ يقوم بنفس العمل يوميا

يخرج في الصباح الباكر ولا يرجع إلا ليلاً .
 وحينما تضاعفت أرباحه قام بشراء عربة ثم
 شاحنة حتى أصبح لديه أسطولاً من الشاحنات
 لتوصيل الطلبات للزبائن. وبعد خمس سنوات
 فقط أصبح الرجل من كبار الموردين للأغذية
 في الولايات المتحدة.

وفي إحدى تعاملاته مع واحدة من أكبر
 الشركات طلب منه موظف الشركة أن يعطيه
 بريده الإلكتروني! فأجاب الرجل: ولكنني لا
 أملك بريداً إلكترونياً! رد عليه الموظف بتعجب
 :لا تملك بريداً إلكترونياً ونجحت ببناء هذه
 الإمبراطورية الضخمة! فماذا كنت ستفعل لو أن
 لديك بريداً إلكترونياً. فأين كنت ستكون؟ أجاب
 الرجل بلا تردد: عامل نظافة في مايكروسوفت!

وبهذا تحولت حياة الرجل الذي كان موشكا على
 أن يصير مجرد عامل فقير لا يجد ما يكفيه ليعول

نفسه وأسرته فصار صاحب شركات كبرى..
وكانت مشكلته سبب نجاحه وتفوقه.. هل فهمت

يالها من قصة جميلة حقا، لكن هل تعتقد أن
كل مشكلاتنا يمكنها أن تتحول لسبب في نجاحنا
وتقدمنا كتلك المشكلة؟

أنا أعتقد أن كل مشكلة فيها بذرة صغيرة
لنجاح كبير، ونحن من يختار، وبإمكاننا جميعا -
إن أردنا- أن نحول مشكلاتنا لسبب نجاحنا،
ولكن الكثير منا على العكس من ذلك يجعل من
نفسه ضحية الظروف، ويجيد لعب دور
الضحية، ويجد بذلك المبرر الذي يعلق عليه
فشله، ويريح نفسه بذلك من عناء البحث
والمحاولة.

إن أخطر شيء يمكن أن تمر به فيهمزماك
ويحطمك حقا هو التشاؤم؛ لأنه يقودك للبقعة
الأشد ظلاما والأكثر خطورة، إلى اليأس واليأس

معادل للموت؛ ذلك لأنه سيتركك في مكانك جامدا لا تتحرك، فتصبح بعد فقدانك للأمل خاويا من الداخل أجوف

وكأنك جسد بلا روح.. فلا تزال تنهار.. ولا تزال تنتقل من مشكلة إلى أسوأ منها.

ولكنني لا أستطيع أن أفهم حقا.. كيف يكون للأفكار كل تلك القوة المؤثرة على حياتنا؟

إن الأفكار قوة خفية تعيش بداخلنا، ولكنها هي التي تقود تحركاتنا من أصغرها إلى أكبرها، هل تستطيع الآن أن تذهب لتشرب كوبا من الماء من دون أن تفكر في الماء أولا وأنت تريد أن تشربه حقا؟ بالطبع لا، وهكذا كل سلوكياتنا في الحياة من أصغرها إلى أكبرها تتبع من فكرة في عقاننا قد نشعر بها وقد لا نشعر.. لكن الأخطر علينا هي تلك الأفكار التي لا نشعر بها؛ لأنها قد تعمل ضدنا ونحن غير منتبهين لها، لذلك نقع

صرعى لها أو لما توصلنا له من نتائج..
 بالضبط كما يتسأل أحدهم من خافك الآن
 ويضربك على رأسك ضربة قوية فتقع صريعا،
 إن الخطر الذي أوقعك فريسة لضربته هو أنك
 لم تشعر به من البداية، وهكذا هي تلك الأفكار
 المتسللة الخفية.. هل فهمت؟

أومات برأسي موافقا وأنا أقول:

نعم، فهمت، ولكن كيف يمكننا أن ندرك تلك
 الأفكار العميقة التي تؤذينا؟ والأهم من ذلك كيف
 سنتكمن من تغييرها؟ كيف نسيطر عليها بدلا من
 تركها تسيطر علينا؟

قال بثبات: ن الأفكار السلبية تحل في كل مكان
 فارغ، وكما قيل: حيثما وجد الفراغ حلت
 السلبية، لذا أشغل عقلك دوما بالأفكار الإيجابية،
 وكلما هاجمتك الأفكار السلبية فأحكم السيطرة
 على أفكارك.. أوقفها.. وتأملها فورا.. سل نفسك

فيم يفكر عقلي الآن؟ وحين تمسك بالفكرة السلبية سارع باستبدالها.. فالعقل لا يمكنه أن يبقى فارغاً.. كما أنه لا يمكنه التركيز على فكرتين في آن واحد.

قلت بتردد: هل تعتقد أن الأمر بهذه السهولة؟

على العكس.. إنه ليس سهلاً.

حدّقت فيه مذعوراً: حقاً؟

قال باغتراب: ليس تماماً، فاستبدال الفكرة السلبية بأخرى إيجابية ليس صعباً، لكن مراقبتك لأفكارك وتصيّدك للفكرة السلبية لكي تتبدلها لا أعده أمراً سهلاً.. لكنه أقوى الأمور التي تنفعك على الإطلاق.. والأجمل أنك حينما تعتاد الأمر فسوف تجده سهلاً بعدها.

كيف يمكنني إذن أن أزيح تلك السلبية وأستبدالها بالإيجابية؟

بالتدريب المستمر.. تدرب دائما على مراقبة ما تفكر به على الدوام.. وإيقاف الفكرة السلبية وتحويل أفكارك لوجهة أخرى إيجابية.. حينها ستمتلك عقلك حقا.. وستجد نفسك تتقدم في الحياة بخطى كبيرة.. لأنك استطعت حقا أن تحل الإيجابية محل السلبية.

ترددت قليلا ثم قلت له:

ولكن يا ضياء.. لازالت هناك نقطة تؤرقني.. لا أستطيع أن أفهم.. إن كنت أجد نفسي محاصرا بالمشكلات وغارقا فيها كيف.. كيف سأستطيع حينها أن أوجه أفكاري في هذا الاتجاه الإيجابي؟

انظر يا فريد.. سأعطيك مثالا عمليا بي أنا.. فكما قلت لك من قبل أنك مهما وجهت وجهك فستجد المشكلات موجودة في حياة الآخرين، بصور ربما تختلف عن صورتها في حياتك أنت.. لكنها موجودة، وكما أننا لم نكن نعلم عما

تعاينيه في حياتك فأنت لاتعلم عما نعائيه في حياتنا، فبيوت الناس كلها قد انطوت على أسرار، مشكاتي فقط تختلف عن مشكاتك، ولكن الأهم أن رد فعلي يختلف عن رد فعلك.

لقد عانينا أنا وزوجتي من مشكلات ذكرت بعضها فقط لك، ولكن الإيمان والأمل يافريدي.. الإيمان والأمل لم يفارقانا لحظة واحدة حتى في خضم أصعب المشكلات، ولولا ذلك ما استطعنا أن نعبر من الجانب المظلم أبدا.. هل تعلم أن ابنتي الجميلة التي حدثتكَ عنها الآن وعن جمالها وبهجتها قد ولدت بعيب خلقي خطير في قلبها، ولا زالت تخضع للعلاج بوحدة البسترة بالمشفى، والأسوأ أن الطبيب قد قال إن الأمل في نجاتها ضعيف جدا، هذا يعني أننا قد نفقدها بعد كل هذا الصبر وكل هذه المعاناة..

لكنني أبدا لم أفقد الأمل ولن أفقده.. لقد أسميتها
أمل.. لأنني لازلت أرى الأمل من حولي في كل
شيء..

وفي نفس ظروفهم آخرون يقنطون ويئسّون..
فقط بسبب تركيزهم على الجانب المظلم من
المشكلة.. فيقول قائلهم لقد عانيت حتى أنجبت..
ثم عانيت مع المولود.. أنا حظي سيء.. فإن
رگز على هذا الجانب سيرى السوء في كل شيء
حوله، لكنه إن نظر للجانب الإيجابي.. سوف
يقول: أنا محظوظ حقا لأنني أنجبت بينما هناك
آلاف البشر لاينجبون.. إنها نظرة الشاكر..
نظرة المتفائل الإيجابي.. لانظرة الجاحد لفضل
الله الذي سيطرت عليه السلبية والتشاؤم..

أنا يافريد أرى بقعة الضوء في قلب الظلام
الحالك، والله لا يخيب من يسعى بشرط أن يكون
في سعيه ثقة به وحسن ظن ويقين، لقد رزقني

بطفلة جميلة رغم حرمان الآلاف غيري من تلك
 المشاعر الرائعة.. وعلى الرغم من مشاعر الألم
 لمرضها إلا أنني وزوجتي ممتنين لأننا رزقنا
 بها، ولازنا نمتليء بالتفاؤل والأمل لم نفقد ثقتنا
 في الله، ونشعر.. بل نوقن أن الله الذي رزقنا بها
 بعد كل الصعوبات التي عاينناها لأجلها سيعافينا
 لنا، وسيجعلها أملاً جميلاً يملأ حياتنا..

الفرق يافريد بيني وبينك ليس هو الظروف
 والمشكلات، فجميعنا يمر بالمشكلات، لكن
 الفارق الأساسي الذي يصنع اختلافاً حقيقياً في
 حياتنا جميعاً هو نظرتنا للأمور، والكيفية التي
 نتعامل بها معها..

فهناك من ينظر للمشكلة على أنها ذلك الكهف
 المظلم الذي يلف حياته ويحيطها من كل جانب،
 فيمتليء بالحزن والأسى، ولا يزال يائساً حزينا،
 لا يخرج من مشكلة إلا ويقع في أسوأ منها

بينما هناك على الجانب الآخر من ينظر لمشكلته على أنها مجرد نفق مظلم، وعليه أن يجتازه بسرعة، لأن في آخر النفق طريق مملوء بالنور والأمل.. يراها مجرد مرحلة في حياته.. مجرد مرحلة فقط، وكل ما علينا فعله هو الإسراع بالتحول عن تلك المرحلة.. لنصل لمرحلة جديدة مشرقة، علينا أن نعبر النفق بسرعة لنخرج للنور.. لذا علينا أن نتحرك ولا نبقى واقفين.. لأننا نحن من يجب عليه أن يعبر النفق، وليس النفق هو الذي سيعبرنا.. هل فهمت؟ لو بقيت واقفا مكانك تفكر في مشكلتك التي تحيط بك.. ستبقى في النفق للأبد.

_وفي حالي أنا يا ضياء هل.....

ترددت قليلا ثم واصلت كلامي ببطء يحذوه
حزن ورجاء:

_هل ترى في آخر النفق نورا؟

_ نعم يا فريد.. بالطبع أرى.. في حالتك وفي كل حالة.. يقع النور دوماً في آخر الممر.. المهم أن تمشي.. أن تتحرك..

أنت تقف مكانك جامداً، تكتفي بالنظر يمنة ويسرة فلا ترى إلا الظلمة الحالكة.. تظل تشكو وتشكو مما تعاني منه، فيزداد شعورك بالمعاناة.. ويزداد اليأس والألم والمرارة من حولك ليس إلا.. ما هكذا يفعل الإنسان المتفائل، ما هكذا يتحرك القوي في الحياة..

_ معك حق.. معك كل الحق يا ضياء، لكن المشكلة الحقيقية أنني فقدت الأمل وفقدت التفاؤل، فالمشكلات التي غرست أنيابها في جسدي وقلبي فمزقتهم.. لم تدع لي أي أمل لأتعلق به.

لَم تَغرس المشكلات أنيابها فيك يا فريد.. ألسنت
موفور الصحة والعافية وتتمتع بالنشاط، وينبض
قلبك بقوة وتعمل أجهزة جسمك بكفاءة؟

نعم أنا كذلك، والحمد لله

حسنا انظر حولك للمشافي لتري كم من
مريض بداء خطير يمنع المرض من مفارقة
فراشه، كم من مريض بالسرطان وبالفشل
الكلى وبفيروسات الكبد وبأمراض القلب،
ألسنت قويا تمشي على قدميك وتقدر على العمل؟

نعم أنا كذلك، والحمد لله.

انظر حولك لتري كم من مشلول ومعاق
وضعيف وغير قادر على العمل.. ألسنت تبصر
بعينيك وأنت قادر على رؤية جمال السماء
وألوان الزهور؟ وتشم ريح عبيرها؟ أولست
تسمع زقزقة العصافير؟ وتقدر على الكلام.

نعم أنا كذلك، والله الحمد.

انظر حولك لترى كم من مكفوف وأصم وأبكم.. أولست تعقل وتفكر؟ نظر حولك لترى كم مجنون قد فقد عقله أو ذهب عقله بالمخدرات والخمور.. ألسنت تعود في آخر يومك إلى منزل يأويك؟ انظر حولك كم ممن لا يملك منزلاً يعيش فيه، فيفترش الأرض ويلتحف السماء..

ألسنت تعيش في أمن وأمان؟ انظر حولك لترى كم ممن ألبأتهم الحروب المدمرة ليعيشوا في الملاجئ والمخيمات من دون حياة حقيقية، في خيام لا تقيهم حراً ولا برداً، فيلحفهم حر ظهيرة الصيف، ويجمدهم برد ليالي الشتاء، وهم مبللون بالمطر كالعصفور الضائع في شجرة من دون أوراق أو من يببتون في العراء بلا مأوى، تحت الشمس الحارقة، وتحت سياط البرد اللاذع..

ألسنت تعود لمنزلك لترى أسرة تنتظرك؟ كم ممن حُرِم من دفء الأسرة، فعاش وحيداً

منفردا، لا يجد من يقاسمه همه ويؤازره في محنه.

بل حتى أختك التي لم تجد مالا يعينها على الزواج، لكنها محظوظة لأنها مخطوبة مطلوبة، ألا تنتظر ترى كم هي امرأة عانس أو مطلقة أو أرملة..

وأخوك الذي لا يجد ثمن الدرس، لكنه على الأقل ليس محروما من المدرسة ولا من الكتب، وقد حباه الله فوق ذلك ذكاء، فكم من طفل حرمته الإعاقة الذهنية من الدراسة وهو يتقلب في الذهب والحريير، وكم من طفل منعتة الحروب أو المجاعات أو المسافات الطويلة أو الفقر المدقع عن المدرسة..

أنت تعود إلى بيتك مساء حاملا معك القليل من المال والطعام، لكنك تحظى بعشائك ولا تنام جائعا.. أفلا تعلم كم من البشر ينامون وقد طووا

بطونهم على الجوع وألمه الشديد، لا يجد أحدهم ما يسد به رمق أطفاله، ألا ترى أطفال الصومال ومجاعات أفريقيا؟ ألم تشاهد تلك المقاطع لأطفال في عمر الزهور يتسابقون لفتات الطعام، ويتقاتلون على حفنة من طعام لا تسد جوع طائر هزيل بمخيمات المشردين الذين خلفتهم الحرب بلا مأوى وبلا دخل وبلا عائل؟ ألم تشاهد من يبحثون في القمامة عما يسد رمقهم؟

أنت تشرب في كل يوم ماء نظيف يروي عطشك، هل تعلم كم إنسانا في العالم لا يجد ذلك الماء النظيف ليروي ظمأه، ويضطر لشرب ماء قذر من مستنقعات ملوثة مملوءة بالمرض والموت..

أنت حزين لأن أمك مريضة وتعالج بدواء باهظ لم يجد معها نفعا وقد زاد من آلامها، هي على الأقل قد وجدت علاجاً، لكن الآلاف غيرها

يقتلهم المرض واليأس، ولا يجدون علاجاً، وفوق ذلك هي قد وجدت حولها أسرة ودودة محبة تحيط بها وترعاها وتخفف عنها، بينما غيرها يقتلهم المرض وهم وحيدون في زوايا غرفهم المظلمة، لا يعلم أحد عنهم شيئاً..

هل تعلم كم أنت محظوظ جداً يا فريد؛ لأن لديك الكثير من الأشياء الرائعة.. التي فقدها الآخرون وحرموا منها، بينما أنت لا تشعر بها أصلاً ولا تلتفت إليها.. ألا تظن ذلك؟

بصراحة لقد أحسست بالخجل يطوقني من ربي الذي لا يزال ماداً لي يده بالنعيم، وأنا أمد لساني بالسخط من دون أن أشعر، فقلت على استحياء:

معك حق يا ضياء.. فبرغم كل ما أمر به من مشكلات إلا أنها تبقى مجرد مشكلات.. إنها ليست معاناة عظيمة حقاً كما يعاني غيري.. إنها ليست مشكلات عظيمة كما كنت أراها، بل أعتقد

أنها أصغر بكثير مما يعاني منه غيري.. أنا
محظوظ.. بل أنا غني حقا.. غني بالكثير من
النعم المحشوة في قلب المحن.

تنهدت بعمق وارتياح، ثم قلت:

_ الحمد لله على ما أنا فيه حقا.

_ فقط؟!!! هل هذا هو كل شيء؟

_ وماذا تريد مني أن أفعل؟ أما كنت تريد أن
تخفف عني ما أعانيه؟ لقد صرت أشعر بمشاعر
طيبة حقا، وعلى الرغم من أن مشاكلي لم تتغير
إلا أنني صرت أشعر بالخفة والراحة. ولم أعد
أشعر بثقلها كما كنت أشعر قبل أن ألقاك.

_ لا بالطبع، ليس هذا فقط ما أردته منك يا فريدا!

تذكر..

إن ما يحدث فارقا في حياتنا.. هي الكيفية التي
ننظر بها لمشكلاتنا

أحبة الضاد

الفصل الثالث

حدّد أهدافك

"تركيز كل طاقاتك على مجموعة محددة من الأهداف هو الشيء الذي يستطيع أكثر من أي شيء آخر أن يضيف قوة إلى حياتك"

نيديو كوبين

_وماذا تريد أيضا؟

_أريدك أن تتحرك.. أن تنهض.. أن تتغير
وتغير ظروفك..

إن الله سبحانه وتعالى الذي حرّم علينا اليأس والقنوط لم يأمرنا بالتبльд أمام مشكلاتنا، وأن نقف مكتوفي الأيدي ننتظر المعجزات أن تنزل لتحل مشكلاتنا.. انظر للزرع لتفهمني.. إننا يجب أن نحفر الأرض، ونغرس البذور، ونسقيها بالماء، ثم ندعو ونقول يارب ارزقنا ثمارا طيبة.. إنه الكفاح.

_ أنا أكافح حقاً.

_ ليس هذا ما أعنيه.. أنت تكافح في غير مكانك الصحيح.. إنها الرسالة التي يجب أن يقدمها كل إنسان في حياته.

إن رسالتك في الحياة أكبر بكثير من مجرد بضاعة رخيصة تجلس لتبيعها في الشارع، لتضع نفسك تحت أقدام رجل قاس جاهل، يضرب بضاعتك بقدميه ويحطم قروشك القليلة ومعها كرامتك.

_ وماذا تعني بالكفاح إذن؟ وماهي الرسالة التي تقصدها؟

_ إن رسالتنا في الحياة هي الشيء الذي نستطيع أن نقدمه لمجتمعنا.. لنكون نافعين وبانين له.

_ وماهي رسالتي أنا؟

_ بالطبع أنا لا أستطيع أن أحدد لك رسالتك؛ فهي شيء ذاتي جداً، إنها الشيء الذي تستطيع أن

تقدمه حقا لغيرك.. تنسج عبرها أهدافك.. وتجعل
 لحياتك أنت معنى وقيمة ومذاقا مختلفا.. تجعلك
 تنظر لليوم بتفاؤل وتنتظر الغد المشرق..
 وتستيقظ وأنت مبتهج بيومك الجديد.. تجعلك
 قويا في قلب محنتك..

_ ماذا تعني؟ أنا لا أستطيع أن أفهمك؟

_ إن هذا الأمر بحاجة لشرح، وبصراحة أنا
 جائع جدا، ما رأيك أن تأتي معي لمنزلي
 ونتناول معا طعام الغداء بينما نكمل حديثنا؟ أنت
 ضيفي اليوم.. لا تخذلني.. ولقد اقتربنا كثيرا من
 شقتي.. انظر أنا أسكن هنا في هذا المبنى..

_ حسنا سأتي معك.. أنا حقا أريد أن أعرف
 وأفهم.. لقد سئمت الركود الذي طغى على
 حياتي.. سئمت الغرق في الكهف المظلم المملوء
 باليأس والحزن.. سئمت مشاعر الظلم والقهر
 والذل التي أعانيها.. أريد أن أخرج من ذلك كله..

نظرت للأفق بعينين يملأها الأمل وتنهدت ثم
تابعت بأمل محترق

_أريد أن أغير حياتي حقا.

قال بحماس: لقد وضعت قدمك على الطريق
الصحيح حقا.

إنها البداية الحقيقية.. البداية القوية.. تلك الرغبة
العارمة التي تجعلك تنفض عنك غبار
الاستسلام.. لتقوم من جديد.

قال ضياء كلماته بينما يدير المفتاح في قفل
شفتيه، ثم قال بصوت مرتفع:

_السلام عليكم، لقد وصلت يا عزيزتي ومعني
ضعيف.

ثم انتظر قليلا وقال لي: هيا تفضل.

ارتبكت وشعرت بالحرص الشديد، لا أحب أن
أكون مزعجا أو أن أربك شخصا ما وأضطره

لفعل شيء لا يريد، قد تزعج زوجته من وجودي المفاجيء معه خاصة أنه لم يرتب الأمر معها، فأثرت أن انسحب، وقلت له:

_حسنا.. يمكنني أن أعود لاحقاً.. يبدو الوقت غير مناسب الآن، ربما قد فاجئنا زوجتك وهذا سيزعجها.

_لا أبدا، لقد كنت أنبهها فقط لكي تفسح الطريق، وأنا أفعل ذلك أيضا حين يكون أخي معي، هيا يارجل تفضل.. لست غريبا لتقف على الباب مترددا.. إن البيت بيتك.. هيا تحرك.

_لم يمهلني ضياء حتى أقرر ما سأفعل، بل دفعني للأمام بحركة خفيفة حتى صرت بداخل الشقة ثم أغلق الباب

_لا زلت كما أنت لم تتغير.. التردد سيد المواقف كلها لديك.

_ نعم، معك حق.

_ لكن التردد خطير يا فريد.. إنه يضيع الوقت،
كما يضيع الفرص الثمينة أيضا.

قادني إلى حجرة الضيوف وأجلسني ثم تابع:

_ والآن سأذهب لأبذل ثيابي وأعد المائدة
وأحضر الغداء، وأثناء هذه الدقائق أريد منك أن
تعمل عملا مهما.

_ وما هو هذا العمل؟

_ إنه أهم شيء يمكنك أن تقوم به الآن لتساعد
نفسك.

تعجبت من كلماته الحاسمة، فأخذت وقتا أفكر
وأحاول أن أدرك هذا الأمر بنفسني ما عساه
يكون هذا الشيء الخطير؟ ولكنني لم أعر على
أي شيء فبادرته متسائلا:

_ وما عساه يكون هذا الشيء؟

إنه تحديد هدفك.

وما معنى تحديد هدفني؟

إن الهدف هو ذلك الشيء الذي يمكنه أن يغير حياتك، ويكسبها قيمة ومعنى.. كما أنه يضيف لحياة الآخرين من حولك منفعة حقيقية بتحقيقك له

ما الذي تعنيه؟ أنا لم أفهمك، هل هذا ما عنيت به بكلمة رسالتي في الحياة؟

لا ليست الرسالة كالهدف، فالرسالة هي دور تلعبه طيلة حياتك، وهو شيء لا ينتهي أبدا حتى تفارق الحياة، رسالة لها عنوان كبير، وتتضمن رسالتك نفع الآخرين، إنها شيء ينبثق منه أهدافك، والتي تكون بالتأكيد أهدافا جزئية ومرحلية، تستطيع شيئا فشيئا أن تحققها، فتحقق ذاتك بتحقيقها.. فرسالته قد تكون إصلاحية أو تعليمية أو اجتماعية أو تطويرية.. أي أنها تقدم

وعيا أو نفعاً بالمجتمع الذي تعيش فيه في مجال
يمكنك أن تخدم فيه الآخرين، تكرس نفسك لهذا
الأمر، ومنه تنبثق أهدافك الفرعية التي تريد أن
تحققها لحياتك الشخصية..

على سبيل المثال.. انظر لرسالتي وأهدافي أنا
لكي تفهمني.. هاهي هناك

وأشار ضياء للوحة جميلة معلقة على الجدار..
وتابع قائلاً:

__ قم وألق نظرة.

نظرت نحو اللوحة مندهشا وسألته:

__ هل تعني تلك اللوحة البديعة المعلقة على
الجدار؟

__ نعم.. إنها هي.. لقد اخترت منظراً بديعاً مشرقاً
لسماء صافية وحديقة غناء لأكتب عليها أهدافي،
وأنا أعلقها على الجدار لتبقى دوماً أمامي.. قم
واقراها ريثما أبدل ملابسك ثم أعود إليك.

اقتربت من اللوحة المعلقة على الجدار بخطوات بطيئة متسائلة.. ما الذي يتكلم عنه ضياء؟ وهل هو يعيش في عالم الواقع أم عالم من الوهم والخيال، بعيدا عن عالمنا نحن.. وبعيدا بعيدا عن واقعا المؤلم.

لقد دنوت من اللوحة وأنا شارد الذهن متناثر الأفكار.. فلم أستطع أن أرى شيئا مما كتب فيها على الرغم من أنني بقيت ثابتا أمامها محققا فيها.. لكن أفكاري حملتني بعيدا إلى هناك.. إلى جوار فراش أمي المريضة.. وكانني أقلب وجهي في وجوه إخوتي الحزينة الباكية على أمها الصامت.. ولكنني لمحت في تلك الصور المؤلمة ما لم أكن ألمحه من قبل، ولم يكن يلفت انتباهي.. إنه وجه أمي المريضة نفسها.. ذلك الوجه الباسم دائما برغم المرض والألم.. وذلك اللسان الذي لا يفتقر عن الذكر والشكر برغم المحن المتتالية.. وتلك اليد الحانية التي دوما

تربت على كتفي وتمسح وجنتي بحنو وهي
تدعو لي بأن يسبغ الله عليّ رضاه ويسعدني..
إنها أمي نفسها.. لقد رأيتها من زاوية أخرى لم
يسبق لي أن رأيتها منها من قبل.. لم يسبق لي
أن التفت لتلك القوة النابعة من خلف فراش
المرض.. ومن خلف آلام العلاج المرهق نفسيا
وجسديا.. ومن خلف تتابع المحن وضيق ذات
اليدين.. لقد رأيت شيئا لم أراه من قبل أو لم أكن
أنتبه له أبدا.. قوة الرضا.. قوة الابتسامة الدائمة
التي لا تفارق وجهها أبدا.. والتي تغسل القلب
الحزين.. قوة التفاؤل برغم المحن العصبية.. قوة
الأمل الذي لا يهزم برغم المشكلات المحيطة من
كل جانب..

ما الذي يعنيه هذا؟ هل هناك فارق بين المشكلة
وبين شعورنا بها؟ هل يمكن للإنسان ألا يعاني
بينما هو يعاني حقا؟ أي أن تبقى روحه قوية

متوتبة محآقة برغم أن جسده محاط بالأمل
ومثقل بالمعاناة!!

ياله من معنى جديد.. ومع أنه كان حاضرا دوما
أمامي.. إلا أنني لم أره على حقيقته أبدا.. لقد
كنت أعتقد أن أمي تتكلف هذه الابتسامة أمانا
لتخفف عنا.. إنها فقط تظهر أنها قوية وراضية
ومطمئنة لكي تخفف الألم عنا ونحن نراها
تعاني.. ولكنني الآن أدركت أن الأمر مختلف
تماما.. إنها قوية.. قوية الروح على الرغم من
وهن الجسد.. قوية بإيمانها وقوية برضاها وقوية
بتفأؤها.. برغم كل شيء..

وفجأة.. عاد ضياء فقطع شرودي بلمسة خفيفة
من يده على كتفي متسائلا:

أكل هذا الوقت تقرأ تلك الأهداف القليلة؟

انتبهت وقلت له: آسف.. بصراحة.. لم أقرأ شيئاً
حقاً، لم أقرأ أي شيء.. لقد شردت بعيداً..
سامحني..

_ الأمر ليس بعيداً عنك كما تظن يا صديقي.. إن
الأمر قريب منا جداً.. قريب بقدر ما نحس أنه
قريب..

_ كيف؟ كيف يا ضياء؟ أنا أراه بعيداً جداً... بعد
هذه السماء البعيدة في لوحتك، بعيداً أن أتغير
وأن تتغير مشكلاتي.. أن تتغير كل تلك الأمور
الشائكة في حياتي

_ إذن هو كذلك يا فريد..

صعقت حينما قال لي تلك الكلمة القاسية،
واضطربت الكلمات على شفتي وأنا أسأله
متعجباً من رده:

ماذا؟ مالذي تقوله يا ضياء؟

أقول إذن هو كذلك.. ما دمت ترى نفسك
حبيس ذلك المكان.. وترى أنك لن تتزحزح
عنه.. وأنت لن تتغير وكذلك ظروفك.. فهذا
بالضبط ما سيكون.. وهذا هو كل ما ستحصل
عليه في حياتك.

قلت متعجبا: ما الذي تعنيه بذلك؟ هل أنا من
أحدد عم، أنت تفعل ذلك.. أنت تختار ما تفعله..
لذلك بالتحديد أنت تختار نتائج أفعالك وما تتول
إليه أحوالك.. باختياراتك وقراراتك أنت..

نحن دوما نختار، وتلك الاختيارات توجه دفة
حياتنا في اتجاهات مختلفة.. تؤثر على كل شيء
في حياتنا.. وفيما نصل إليه وما نحققه وكذلك
فيما نفشل في الوصول إليه وفي تحقيقه..

أنت اخترت أن تكون هنا اليوم.. لذلك أنت هنا..
وأنت الآن الذي تختار أين تكون غدا.. وعلى
أساس تلك الاختيارات أنت تتحرك تلقائيا..

بشكل مندفع ومن دون أن تشعر في الاتجاه الذي اخترته لنفسك وحددته سابقا كمسار لحياتك.. وهذا يعيدنا من جديد لموضوع الهدف..

إن الأهداف التي نصيغها على الورق.. والتي نحددها باختياراتنا.. هي عبارة عن وجهة مكتوبة تحدد مسارنا ووجهتنا في الحياة.. هي عبارة عن تحديد دقيق لما نريد أن نكونه.. وما نريد أن نصل إليه في الغد

نظرت إليه وقد التوت شفتيّ معترضا على هذا التعنت والمبالغة، وقلت له مستكبرا: "ألا يمكنني أن أعرف أنني أريد أن تتحسن حياتي نحو الأفضل فقط من دون تحديد دقيق؟ .. ألا يكفي هذا؟!"

لا.. بالطبع لا يكفي، هل يمكن لقائد طائرة أن يقودها نحو بلد جميلة جوها جميل وبها معالم طبيعية مميزة من دون أن يحدد وجهته؟ هل

يمكن لطائرة أن تقلع نحو ذلك المجهول؟ وهل تعتقد أن الركاب الذين يستقلون مثل هذه الطائرة يتمتعون بقدر كاف من العقل والحكمة؟ هل رأيت سفينة تسافر في البحر بعشوائية وهي لا تعرف لها وجهة، وهي تتمنى أن تصل لجزيرة جميلة خلاصة المنظر، وهل تعتقد أن مثل هذه السفينة سوف تصل لوجهتها المجهولة في يوم من الأيام؟

_ طبعا لا يمكن لهذا ولا ذاك أن يحدث أبدا.

إن كنت تستنكر هذا في رحلة طائرة أو سفينة.. فكيف إذن تريده أن يحدث في رحلة حياة إنسان؟! أنت تريد أن تنطلق نحو المجهول ثم تصل حقا إليه.. أنت تريد أن تتحسن حياتك.. فما معنى هذا التحسن؟ عليك أن تحدد ذلك بدقة.. وعليك أن تتجاوز تحديده بعقلك لكتابته على الورق.. وعليك أيضا أن تتجاوز كتابته على

الورق لقراءته كل يوم.. حتى تتذكره جيداً..
وحتى يصير جزء لا يتجزأ منك.

_أعتقد أن معك حق تماماً.. من المهم أن أحدد
ما أريده لكي أصل إليه.. لكنني لا أفهم حقاً ما
أهمية كتابته على الورق.

_انتظر سأجعلك تقرأ بنفسك"، قال ذلك بينما
انطلق بخطوة سريعة نحو أحد رفوف مكتبته
الكبيرة، وأخذ يمر سريعاً على عناوين الكتب
المصفوفة بنظام وعناية، وبإصبعه جذب كتاباً
صغيراً بغلاف أزرق اللون، وأخذ يقلب صفحاته
بسرعة حتى وصل لكلمات مؤطرة بإطار خاص
في منتصف الكتاب، فناولني إياه وقال لي: "اقرأ
هذا الكلام بصوت مرتفع.

وجدت نفسي أتناول منه الكتاب بسرعة متلهفا
لقراءة تلك الكلمات التي أبرزها بقلمه معلنا عن

أهميتها الخاصة، وشغوفاً لأعرف ما الذي تخفيه تلك الأسطر، ونظرت بعناية فيها فوجدت:

" في برنامج الماجستير في إدارة الأعمال في جامعة هارفارد، طُلب من طلاب الدراسات العليا في جامعة هارفارد تحديد ما إذا كانوا قد وضعوا خطة واضحة، وأهداف مكتوبة لمستقبلهم، وكذلك إذا كانوا قد وضعوا خططاً محددة لتحويل أحلامهم إلى واقع.

وكانت نتيجة الدراسة أن 3% فقط من الطلاب كتبوا الأهداف وخططوا لتحقيقها، بينما كانت لدى 13% منهم أهدافاً في أذهانهم ولكنهم لم يكتبوها، أما 84% من المشاركين في الدراسة فلم تكن لديهم أهداف على الإطلاق.

بعد 10 أعوام أجريت مقابلات مع نفس المجموعة من الطلاب مرة أخرى، وكان ختام هذه الدراسة مذهلاً تماماً.

حصل الطلاب من فئة 13% الذين لديهم أهداف، ولكنهم لم يكتبوها على ضعف ما حصل عليه الأشخاص من فئة 84% الذين ليس لديهم أهداف.

وكسب الطلاب من فئة 3% الذين كتبوا أهدافهم على 10 مرات أكثر مما حصل عليه 97% الآخرين أي الفئتين مجموعتين.

وتبين أن الناس الذين لا يكتبون أهدافهم يميلون إلى الفشل أسهل وأسرع من الأشخاص الذين يكتبون أهدافهم.

أتممت فرائتي ونظرت إليه مشدوها.. ومتسائلا في نفسي:

"هل حقا تمتلك الكتابة كل هذه القوة؟"

قطع صوته فكرتي:

هل فهمت؟ إن تحديدك لأهدافك يساعدك على إدراكها وعلى فهم ذاتك بشكل أفضل.. إنه يساعد عقلك على التوجه مباشرة نحو الهدف الذي تريده.. أن تبقى على المسار الذي حددته لنفسك مسبقاً.. يساعدك كذلك على قياس تقدمك في الحياة.. ويساعدك أخيراً على إدراك كل الفرص التي تمر أمامك وكل ما من شأنه أن يساعدك على تحقيق هدفك..

إنه أمر ممتع حقاً أن تحدد هدفك وأن ترسم خطتك وأن تقرأ ذلك كل يوم.. وأن تتصور نفسك وأنت تحقق تلك الأهداف.. ثم تجد نفسك فجأة وقد تغير معنى حياتك من لاشيء إلى شيء رائع.. إلى شيء ذي قيمة حقيقية ومعنى عميق..

أن تبدأ من تلقاء نفسك بالشعور بقيمة الوقت.. بقيمة اليوم والغد.. بقيمة الساعة والدقيقة.. أن

تستشعر لذة تحقق أهداف جزئية كخطوات
صغيرة تفودك نحو هدف أكبر منها..

والآن هل فهمت معنى تحديد الهدف؟ الهدف
شيء يتجاوز واقعك.. لكنه وعلى الرغم من
صعوبته هو شيء ممكن.. يمكنك أن تحققه..
يمكنك أن تحصل عليه.. ويمكنه حينها أن يغير
حياتك بأكملها.. المهم أن تبذل الجهد المطلوب..
ولكنني أبذل الكثير من الجهد..

إنه جهد ضائع.. نعم ضائع؛ لأنه جهد غير
صحيح وغير مدروس.. ليس في المكان
الصحيح وليس بالطريقة الصحيحة.. فإذا كنت
بدأت حقاً تتخلص من أفكار السلبية، ثم
تجاوزت ذلك لأن يصبح تفكيرك وتركيزك
إيجابياً.. ثم بدأت في تحديد هدفك.. فأنت الآن
بالتحديد على المسار الصحيح جداً.. إن الجهد
الذي تبذله لو كان في غير محله فهو مضيعة

للوقت والطاقة وسبب في المزيد من الألم
والمعاناة فقط.. لكن الجهد المدروس هو
المطلوب لكي تنجح.

_ امم. كلامك بحاجة لتوضيح.

_ سأقص عليك قصة هدف، هي حقا من أعمق
قصص تحقق الأهداف والتي تفوق الخيال، إنها
قصة حمار تحول لخليفة..

دخلت في نوبة هستيرية من الضحك، ولما
فرغت منه فوجئت بصديقي يحملق في مستاء..
فقلت له:

_ عفوا لقد كانت مزحكتك مضحكة جدا.. أنا لم
أضحك هكذا منذ زمن طويل.

_ ولكنني لا أمزح يا فريد.

نظرت له وعلى وجهي تعابير شك واضحة، وقد
كنت أنتظر منه أن يضحك، ولكنني لم أر على

وجهه سوى تعبير جاد ينم عن الصدق فيما يقول، فنظرت له بعينين مندهشتين وشعرت أن كلماتي تتجمد.. ففوجئت به يتبسم ويقول:

بل صدق.. تلك هي الحقيقة.

فجلست ولم أتكلم.. منتظرا فقط أن يتكلم بما أستطيع تصديقه.. فجلس وبدأ يقول:

_كان ثلاثة من الشباب يعملون حمّارين - يحملون البضائع للناس من الأسواق إلى البيوت على الحمير - وفي ليلة من الليالي وبعد يوم من العمل الشاق، تناولوا طعام العشاء وجلس الثلاثة يتسامرون فقال أحدهم واسمه " محمد " افترضاً أنني خليفة .. ماذا تتمنيا؟ فقالا: يا محمد إن هذا غير ممكن، فقال : افترضاً جدلاً أنني خليفة .. فقال أحدهم: هذا محال وقال الآخر: يا محمد أنت تصلح حمّار أما الخليفة فيختلف عنك كثيراً .. قال محمد: قلت لكما افترضاً جدلاً أنني خليفة،

وهام محمد في أحلام اليقظة، وتخيل نفسه على عرش الخلافة وقال لأحدهما : ماذا تتمنى أيها الرجل ؟ فقال: أريد حدائق غناء، وماذا بعد؟ قال الرجل: إسطبلاً من الخيل، وماذا بعد؟ قال الرجل: أريدك أن تزوجني أربع زوجات ... وماذا بعد أيها الرجل؟ قال مائة ألف دينار ذهب، ثم ماذا بعد؟ يكفي ذلك يا أمير المؤمنين.

كل ذلك و محمد ابن أبي عامر يسبح في خياله الطموح ويرى نفسه على عرش الخلافة، ويسمع نفسه وهو يعطي العطاءات الكبيرة ويشعر بمشاعر السعادة وهو يعطي بعد أن كان يأخذ، وهو ينفق بعد أن كان يطلب، وهو يأمر بعد أن كان ينفذ وبينما هو كذلك التفت إلى صاحبه الآخر وقال ماذا تريد أيها الرجل، فقال : يا محمد إنما أنت حمّار..... والحمّار لا يصلح أن يكون خليفة فقال محمد : يا أخي افترض جدلاً أنني الخليفة ماذا تتمنى؟ فقال الرجل: أن

تقع السماء على الأرض أيسر من وصولك إلى الخلافة، فقال محمد: دعني من هذا كله ماذا تتمنى أيها الرجل؟ فقال الرجل: إسمع يا محمد إذا أصبحت خليفة فاجعني على حمار ووجه وجهي إلى الورا وأمر منادي يمشي معي في أزقة المدينة وينادي أيها الناس ! أيها الناس ! هذا دجال محتال من يمشي معه أو يحدثه أودعته السجن، وانتهى الحوار ونام الجميع ومع بزوغ الفجر استيقظ محمد وصلى صلاة الفجر وجلس يفكر .. صحيح الذي يعمل حمارا لن يصل إلى الخلافة، فكر محمد كثيرا ما هي الخطوة الأولى للوصول إلى الهدف المنشود.

توصل محمد إلى قناعة رائعة جداً وهي تحديد الخطوة الأولى حيث قرر أنه يجب بيع الحمار وفعلاً باع الحمار وانطلق ابن أبي عامر بكل إصرار وجد، يبحث عن الطريق الموصل إلى

الهدف، وقرر أن يعمل في الشرطة، وعمل فيها بكل جد ونشاط،

أعجب به الرؤساء والزملاء وترقى في عمله حتى أصبح رئيساً لقسم الشرطة في الدولة الأموية في الأندلس، ثم يموت الخليفة الأموي ويتولى الخلافة بعده ابنه هشام المؤيد بالله وعمره في ذلك الوقت عشر سنوات، وأجمعوا على أن يجعلوا عليه وصياً ولكن خافوا أن يجعلوا عليه وصياً من بني أمية فيأخذ الملك منه... فقرروا أن يضعوا مجموعة من الأوصياء من غير بني أمية، وتم الاختيار على محمد ابن أبي عامر وابن أبي غالب والمصحفي، ثم أزال المصحفي من الوصاية وزوج محمد ابنه بابنة ابن أبي غالب ثم أصبح بعد ذلك هو الوصي الوحيد، ثم اتخذ مجموعة من القرارات، فقرر أن الخليفة لا يخرج إلا بإذنه، وقرر انتقال شئون الحكم إلى قصره، وجيش الجيوش وفتح

الأمصار واتسعت دولة بني أمية في عهده وحقق من الانتصارات ما لم يحققه خلفاء بني أمية في الأندلس، حتى اعتبر بعض المؤرخين أن تلك الفترة فترة انقطاع في الدولة الأموية "وسميت بالدولة العامرية" هكذا صنع الحاجب المنصور محمد ابن أبي عامر، واستطاع بتوكله على الله واستغلاله القدرات الكامنة التي منحها الله إياها أن يحقق أهدافه .

وفي يوم من الأيام وبعد ثلاثين سنة من بيع الحمار والحاجب المنصور يعتلي عرش الخلافة وحواله الفقهاء والأمرء والعلماء .. تذكر صاحبيه الحمارين فأرسل أحد الجنود وقال له: اذهب إلى مكان كذا فإذا وجدت رجلين صفتها كذا وكذا فأتني بهما،

وصل الجندي ووجد الرجلين بنفس الصفة وفي نفس المكان ... العمل هو هو .. المقر هو هو ..

المهارات هي هي .. بنفس العقليّة حمار منذ ثلاثين سنة .. قال الجندي : إن أمير المؤمنين يطلبكما، ففزعنا: أمير المؤمنين إننا لم نذنب؟ لم نفعل شيئاً؟ ما جرمننا؟ .. قال الجندي: أمرني الخليفة أن آتي بكما، وحين وصلا إلى القصر، نظرا إلى الخليفة .. قالا باستغراب إنه صاحبنا محمد ... قال الحاجب المنصور : أعرفتماني؟ قالا نعم يا أمير المؤمنين، ولكن نخشى أنك لم تعرفنا، قال : بل عرفتكما ثم نظر إلى الحاشية وقال : كنت أنا وهذين الرجلين سويا قبل ثلاثين سنة وكنا نعمل حمارين وفي ليلة من الليالي جلسنا نتسامر فقلت لهما إذا كنت خليفة فماذا تتمنيا؟ فتمنيا ثم التفت إلي أحدهما وقال: ماذا تمنيت يا فلان؟ قال الرجل حدائق غنّاء، فقال الخليفة لك حديقة كذا وكذا، وماذا بعد قال الرجل: اسطبل من الخيل، قال الخليفة: لك ذلك وماذا بعد؟ قال أن تزوجني أربع نساء، قال

الخليفة لك ما أردت، ثم ماذا؟ قال الرجل مائة ألف دينار ذهب، قال : هو لك وماذا بعد؟ قال الرجل كفى يا أمير المؤمنين.

قال الحاجب المنصور ولك راتب مقطوع يعني بدون عمل - وتدخل عليّ بغير حجاب ثم التفت إلى الآخر وقال له ماذا تمنيت؟ قال الرجل اعفني يا أمير المؤمنين، قال: لا والله حتى تخبرهم قال الرجل: الصحبة يا أمير المؤمنين، قال حتى تخبرهم.

فقال الرجل: قلت: إن أصبحت خليفة فاجعاني على حمار واجعل وجهي إلى الوراء، وأمر مناد ينادي في الناس: أيها الناس هذا دجال محتال من يمشي معه أو يحدثه أو دعتة السجّن، قال الحاجب المنصور محمد ابن أبي عامر: افعلوا به ما تمنى، حتى يعلم "أن الله على كل شيء قدير"

ما رأيك يا فريد.

_ قصة مذهلة، ولكن.. هل تعني؟ هل بإمكانني
أن.. هل يمكن أن..؟

_ ابحث بداخل نفسك.. ابحث في أعماق ذاتك
ستجده.. إنه هناك صدقني..

لقد دفنته منذ مدة طويلة؛ هذا لأنك لم تكن تفكر
إلا في المسئوليات فقط.. ولكن ذلك الشيء القابع
خلف كل تلك الأسوار العالية والأقفال المغلقة
سيبدأ في الظهور وسيعلن عن نفسه حين تبدأ
أنت في التفتيش عنه، وتصبر على العثور
عليه..". وكما قيل: "ليس الفقير هو من لا
يملك مالاً، ولكن الفقير هو من لا يملك حلماً"

قلت بتردد: ومتى يمكنني أن أفتش عنه حتى
أخرجه؟

الآن.. يمكنك أن تفعل ذلك الآن.

فقط اجلس بهدوء، وأمسك بالورقة والقلم، وابدأ في التعبير عن ذاتك.. اكتب ما تحب أن تفعله حقاً.

_ أنا أريد أن أنجح في حياتي.

_ ستنتج بإذن الله.. ولكن أمسك أولاً بطوق النجاة.. أنت الآن لا زلت غارقة تحت المحيط.. عليك أن تتعلق أولاً بطوق النجاة لتخرج.. ولتري النور.

_ حسناً.. سوف أفعل ذلك الآن.

مد يده إلي بحزمة من الأوراق المسطرة ومعها قلم جميل وهو يقول:

_ إذن إليك القلم والأوراق، اكتب.. اكتب كل ماتحبه.. وكل ماتحلم أن تحققه في حياتك.. اكتب وأنت تعلم أنه لا يوجد قيود على الكتابة.. لا يوجد قيود على قلمك وحلمك.. فلا تسمح لقيود

الواقع الثقيلة ومسئوليته الكثيرة ومشكلاته غير المنتهية أن تقيد حلمك.

أهدافك يجب أن تكون خليطاً بين ما تتقنه وما تحبه وما تريده، يجب أن تكون تلك الأمور معا مقتربة من بعضها البعض، مزيج بين قدراتك ومواهبك من جهة وبين رغباتك وطموحاتك من جهة أخرى.

أنت هنا الآن وحدك، وليس معك سوى القلم والأوراق

هيا اكتب.. بينما أعدّ أنا المائدة ستعد أنت سيناريو حياتك، وما تريد أن تعيشه وما تحب أن تصل إليه.. هل تفهمني؟.. تخل عن التشاؤم واليأس والاستسلام.. احلم.. احلم كما يحلم الأطفال.. من دون حدود أو قيود.. هل فهمت؟

أحسست بموجة من المشاعر المتضاربة، فبينما أشعر بالتححرر من كل القيود وبالرغبة العارمة

في أن أحلم كالأطفال.. رأيتني أيضا أشعر
ببعض الحيرة والارتباك، ولكنني برغم ذلك قد
تبسمت، وأعلنت بسمتي له عن تبشير الأمل،
اكتفيت أن أومات له برأسي موافقا، وقد شعر
هو بما أخذت أنا به، فانصرف وتركني وحيدا
لأبداء، فخلوت من جديد مع أفكاري، وقلت
لنفسى:

"لو أنني بقيت كما أنا ستبقى أوضاعي كما هي
ولن تتغير أبدا، لن يحدث شيء يدفع حياتي في
اتجاه آخر، بل سأبقى حبيس أوضاعي السيئة
كما أنا حبيس أفكاري السلبية، والآن جاءتني
الفرصة الجديدة لأبدأ من جديد، لأبدأ من هنا من
أفكاري وليس من مكان بعيد عني، من أهدافى،
لذا عليّ أن أفعلها.. أن أحدد ماذا أريد "

وبدأت أشعر لأول مرة أنني أفك تلك القيود التي
أثقلتني لسنوات طويلة، شعرت أنني عدت

صغيرا، وليس عليّ الآن إلا أن أحلم كما يحلم
الطفل الصغير.. وليس عليّ حلمي قيود أو
حدود، وأمسكت بالورقة والقلم وبدأت أكتب:

"أنا أحب التصميم وأنا بارع حقا فيه لذا أحلم أن
أعمل في شركة كبيرة وأتقاضى راتبا كبيرا يحل
مشكلاتي ومشكلات أهلي.."

أحلم أن أعود لأخذ مكاني الذي سلب مني عنوة
في الجامعة، وأصير مدرسا فيها كما كان ينبغي
أن يحدث..

أحلم أن أحقق الفرحة لأمي وإخوتي..

أحلم ان أتزوج من ابنة عمي التي اضطرت
لفسخ خطبتي بها بعد أن أثقلتني المشكلات..

أحلم أن أوسس شركة تصميم معماري خاصة
بي أنا.. وتكبر شركتي لتكون منافسة للشركات
العالمية.."

مضى الوقت بسرعة، وقطع صمتي وذهولي
نداء ضياء من على المائدة وهو يقول:

_ هيا يا فريد سيبرد الطعام.

انتبهت فجأة، فذهبت مسرعا باتجاه المائدة وأنا
أسأله:

_ هل ناديتني من قبل؟

_ إنها المرة الثالثة وأنت غارق في أفكارك
وشارد مع الورقة والقلم.. ولولا أن الطعام
سيبرد حقا ما قاطعت تركيزك هذا أبدا.

_ سامحني.. لقد ذهبت للبعيد.. للبعيد جدا.

ثم ضحكت على نفسي وأحلامي

_ لكن صوتك قد أعادني لأرض الواقع، ولم أجد
في يدي سوى الورقة والقلم.. وليس سوى ذلك.

_صدقني كل الأحلام العظيمة بدأت بالورقة
والقلم فقط.. وليس سوى ذلك .. ثم صارت واقعا
كبيراً في حياتنا .

تذكر..

أهدافنا مهما كانت بعيدة.. يمكنها حقاً أن تصبح
واقعا ملموساً.. بشرط.. أن نبدأ بالعمل الجاد
عليها..

الفصل الرابع

خطّ بدقة

"الذي يخطط.. هو الذي يعرف كيف يصل لما يريد"

قلت مستاء: وكيف أبدأ بالعمل عليها؟ أنت ترى فرق المسافة الشاسعة بين ما أنا فيه وما أحلم به؟

أشار بيده موقفا إياي عن الكلام، وقال:

_ لن أتكلم حتى تأكل.. لقد أخبرتك أن الطعام سوف يبرد.

أمسكت بالملعقة مذعنا وبدأت في تناول طعامي وأنا أقول:

_ ها قد بدأت .. هيا أخبرني.

قال باهتمام: لن تكون أهدافك ذات جدوى ما لم تنتقل من مكانك الذي أنت فيه إلى مكان أفضل، لكن هذا يحتاج لخطة، فلا بد من خطوات تسير

عليها لأجل أن تحقق تلك الأهداف على أرض الواقع وإلا ستبقى مجرد أحلام.

أشرت بيدي مستسلما

_ولكنني لا أملك أن أفعل شيئا لأحققها، إنها مجرد أحلام فقط.

قال رافضا: بلى تستطيع.. أخبرني كم شركة ذهبت إليها حتى تستسلم وتختار الوقوف على الرصيف.

قلت بيأس: لقد ذهبت إلى عشر شركات.

شهق ضياء وصرخ فيّ: هل تمزح؟

فأفز عني وأفقدني الأمل أكثر، فقلت له:

_انظر لقد قلت لك أنه لا يوجد أمل.

أخذ ضياء يهز رأسه تعجبا

_وهل تظنني فزعت من كثرتها، إنما أفزع من

تخاذلك فقط، هل ذهبت فقط إلى عشر شركات

وسارعت بالاستسلام وألقيت بنفسك للمذلة على
 الرصيف؟! أنت عجيب حقا، أنا أحمد الله أن
 إديسون لم يكن يمتلك نفسك القصير إذن لعشنا
 في الظلام، هل تعلم كم مرة حاول إديسون حتى
 يصنع لنا المصباح الكهربائي الذي غير صفحة
 الحياة؟

_ لا.. لست أعلم.

_ لقد تجاوز الألف محاولة فاشلة، ومع ذلك فلم
 يسمها فشلا أبدا، وإنما أسماها مجرد طرق
 خاطئة لصنع المصباح.

_ حتى لو كان ذلك كذلك، فأعتقد أن ظروفه
 كانت جيدة جدا، وهيئت له الأسباب ليجلس في
 مختبره ليصنع ويجرب، ولم يكن يعرف طعم
 الحاجة أو الذل؟

_ بالطبع لا، النفوس التي تصنع النجاح لا تعرف
 الاستسلام، مهما كانت ظروفهم.. ولقد عانى

أديسون معاناة كبرى لكنه مع ذلك أصر على الوصول.. ألا تريد أن تسمع قصته؟

قلت بحماس: بلى أريد بالطبع.

لقد عاش إديسون حياة قاسية، فاقد اهتمامه معلمه في طفولته بأنه غبي فاشل لا يصلح للدراسة، وقد صرفه معلمه من المدرسة، لكن أمه كانت مثالا رائعا للأم التي تصنع الرجال بحق، فقد وثقت في ذكائه وقدراته وأولته عناية وعلمته بالبيت مبادئ القراءة والكتابة وأسبغت عليه العطف والتقدير اللذان أعادا له ثقته ومكناه من تطوير ذاته، وقد كان يقول: إن أمي هي التي صنعنتي، لأنها كانت تحترمني وتثق في، أشعرتني أني أهم شخص في الوجود، فأصبح وجودي ضروريا من أجلها وعاهدت نفسي أن لا أخذلها كما لم تخذلني قط

لقد اعتمد إديسون فيما بعد على القراءة والتجريب، وقد خصصت له أمه حجرة بالدار ليستخدمها في تجاربه، لكنه اضطر في عمر الثانية عشر أن يعمل ليساعد والديه على نفقات المعيشة، فبدأ كمزارع يزرع الخضر ويبيعها، ولم يرقه ذلك العمل فانتقل لبيع الصحف في قطارات السكة الحديدية، وقد مكنه هذا العمل من الاطلاع على الكثير من الصحف والمجلات، كما تمكن من عمل مختبر صغير له في إحدى عربات القطار غير المستعملة وضع فيها أدواته ليجري تجاربه في وقت فراغه، وقد قام في عمر الخامسة عشر بشراء آلة طباعة صغيرة الحجم، وبدأ بصنع صحيفته الخاصة والتي كان يبيعها على الركاب، وكانت تباع بأعداد جيدة، ساعدته على اكتساب المال الذي أعانه على شراء المواد الكيميائية التي يحتاجها في تجاربه.

ولكن المشكلات ماكانت لتدعه وحده، وما كان النجاح ليأتي سهلا، فلقد حدث أن سقطت بعض المواد التي يستخدمها في تجاربه على أرض عربية القطار، فاشتعلت النيران بها، فتسبب هذا الحادث بطرده من القطار، كما صفعه العامل صفعة قوية أصابت أذنه بضرر بالغ، ولكنه عاد ليستكمل تجاربه بقبو منزله واكتفى ببيع الصحف في المحطة من دون أن يبيع بالقطار، وقد عمل بعدها بمكتب التلغراف، ثم عمل بوكالة أنباء، وقد اختار العمل في المناوبة الليلية لكي يجد وقتا كافيا للقراءة والتجريب، ولكن إحدى تجاربه تلك قد كانت سببا في طرده مرة أخرى من عمله، حيث إنه وأثناء عمله ببطارية رصاص حمضية تسرب حمض الكبريتيك بين ألواح الأرضية الخشبية فسقط في مكتب رئيسه بالعمل، مما تسبب في طرده في الصباح التالي.

وحتى ظروف اختراعه للمصباح خرجت من رحم محنة ألمّت به، فقد مرضت أمه بشدة، وأعلن الطبيب عن حاجتها لإجراء عملية جراحية فورا وأن حياتها قد تتعرض للخطر بسبب تأخير العملية، ولكنه على الرغم من ذلك لم يستطع إجراء تلك العملية لها؛ لأن الوقت كان ليلا ولا يوجد ما يكفي من الضوء ليتمكن الطبيب من إجراء تلك العملية التي تحتاج لرؤية دقيقة لا تحتمل اللبس. ومن هنا أصر إديسون بعدها على أن يضيء ظلمة الليل بضوء ساطع، فبدأ تجاربه التي لم تتوقف على الرغم من كثرتها حتى حقق هدفه، وأضاء لنا المصباح الكهربائي..

ولم يكتف ذلك المخترع بذلك المصباح المدهش حتى أعقبه بمئات الاختراعات الأخرى، والتي ساهمت في تطوير الحياة في كثير من النواحي.

قلت بذهول: يالها من رحلة.. لم تكن رحلة سهلة
أبدا!

قال مؤكدا: لا توجد رحلة نجاح سهلة، فنحن
لسنا في لعبة، إنما هي رحلة كفاح يتخللها دوما
محنا وآلاما وصعوبات، وخذ مثالا من ذلك
العجوز صاحب الدجاج المقلي الشهير وما كان
يحمل للعالم مصباحا يضيء شوارعهم ومنازلهم
بل مجرد طريقة مضرة لصنع الدجاج ولكن
طعمها لذيذ، فكان من الإصرار على تحقيق
هدفه بدرجة جعلته وقد تجاوز عمره الستين
لايستسلم ولا ينهزم أمام مائة مطعم يرفضه،
حتى قبله مطعم صغير، فجميع الأهداف الكبرى
سُبقت بمصاعب ومشكلات، وخرجت من رحم
محن حقيقية، وبذل وإصرار.

_ هل تعني أنني يجب أن أتعلم منه.. على الرغم
من أنه لم يقدم للناس سوى الضرر.

_بل أعني أن إصراره درسا يجب تعلمه، وليس
إصراره بالآخرين..

وهذه نقطة خطيرة عليك أن تفهمها جيدا،
فالهدف الحقيقي يجب أن يكون نافعا، يجب أن
يغير حياة الناس نحو الأفضل لا نحو الأسوأ..

نحن نشاهد حولنا الكثير من الناجحين أصحاب
المال والأعمال، لكنهم على الحقيقة مخربين، لقد
بنوا نجاحهم على تدمير مجتمعهم وإفساد الشباب
وربما حتى قتل الأرواح البريئة.

_ماذا تعني؟

_تلفت حولك.. ألا تجد الكثير من الفنانين
الناجحين.. فيم نجحوا

لقد نجحوا في سلب الشباب عقولهم وإبعادهم عن
سبيل ربهم بإفساد دينهم وأخلاقهم، لقد بنوا
نجاحهم على تخريب مجتمعهم وقيادته نحو
الرديلة والانحطاط في القيم والأخلاق، وها أنت

ذا الآن ترى مجتمعنا انعكاسا مرآة ومؤسفا لتلك
المفاسد التي تغزو الشاشات..

ولو نظرت لشركات الدخان ستجدها من
الشركات التي تحقق أرباحا طائلة، ولكن ما
الثمن؟ إنهم يخافون وراءهم السرطان والفشل
الكلوي وأمراض القلب والضغط.. يخافون جنثا
لا تتفجع المجتمع في شيء.. ولاحتى تتفجع نفسها
وأسرها.. وأمالو دخلت لأي متجر كبير أو
صغير فسوف ترى أن أرففه ممتلئة بالأطعمة
المسومة، وخلف كل نوع من تلك الأطعمة توجد
شركة كبيرة ناجحة ماديا.. ولكنها فاشلة في
القيمة الخلقية والمعنوية.. فهذه شركة للمياه
الغازية وتلك شركة للشوكولا وأخرى للشيبسي
ورابعة للكعك المحلى.. وأخرى وأخرى.. إنها
صناعة المرض والموت لا صناعة الغذاء.. إنها
الشركات الرائدة في تقديم السموم المغلفة بأغلفة
أنيقة لأطفالنا لتمررهم.. أتعذ هذا نجاحا؟ إنها

تجارات رائجة تبيع بالملايين.. ولكنها تضر ولا
تنفع.. هل فهمت؟

_ نعم أفهمك تماما.. إنهم يتعاملون مع البسطاء
كفئران تجارب وليس كبشر.. إنهم مجرد نوع
ثان من أنواع مصاصي الدماء، يمتصون قروش
الفقراء ويمرضون أطفالهم بينما يكذبون
الأرصادة بالبنوك.. والآخرون ما هم إلا
مصاصو أخلاق.. يمتصون العفة والفضيلة
والقيم من المجتمع.. ويدفعون به في هاوية
سحيفة لا يستطيع الخروج منها.. ولا حول
ولا قوة إلا بالله.

_ إذن لقد أدركت أهمية أن يكون نجاحك نافعا
بانيا مفيدا

_ نعم. بالطبع أدركت ذلك تماما.. وأدركت أيضا
معنى الإصرار.. وكم أنني كنت متخاذلا لأنني

استسلمت بعد عشر شركات فقط... وعليّ أولاً
أن أغير صيغة أهدافي من أحلم لأريد.

قال بابتسامة رضا: أنت تلميذ نجيب حقاً.. لكن
ليس هذا فقط.. وإنما أيضاً أن تكتب خطتك..
تلك الخطوات الطبيعية التي تقودك نحو هدفك..
وإذا تستسلم.. كما لم يستسلم أديسون وكما لم
يستسلم العجوز صانع الدجاج.. وكما لم يستسلم
الرجل الذي لم يمتلك بريدًا إلكترونيًا.. وكما لم
يستسلم كل أصحاب الأهداف الناجحة.. هل
فهمت؟

حسناً.. حسناً.. لقد فهمت..

_إذن فأننا يجب أن أبدأ برسم خطة لتحقيق
أهدافي التي كتبتها على الورق وأن أتحرك فوراً
في تنفيذ ما أخطط له وألا أبقى ساكناً في
مكاني.. فلن يأتي الحظ ليترق بابي.. بل علي

أن أسعى حتى أحصل عليه"، "ولكن ما الفرق بين كتابة الأهداف وكتابة الخطة؟.

إن كتابة الأهداف هي مجرد صياغة للهدف، لاتعدو أن تكون عنوانا له، وأما الخطة فهي التفاصيل الدقيقة التي تكتبها لتعرف كيف يمكنك الوصول للهدف، وما الإجراءات التي سوف تتخذها للحصول على ذلك الهدف، والذي يجعل من هدفك شيئا قابلا للقياس؟ والأهم الإطار الزمني الذي سوف تحقق فيه ذلك الهدف.. فإذا أردت تحقيق هدف ما فعليك أن تفكر وأن تضع برنامجا لتحقيقك ذلك الهدف.. يضم خطواتك، والمدة الزمنية التي يجب أن تستغرقها كل خطوة.. ثم تقيس خطواتك وتطورك في ضوء الخطوات والمدة المقررة.. وهذه هي الخطة، هل فهمت؟

هل يمكنك أن توضح لي بمثال عملي؟

_نعم بالطبع.. خذ على سبيل المثال من يضع هدفا لنفسه بخسارة الوزن الزائد، عليه أن يبدأ في تحديد الخطوات المدروسة التي سيقوم بها لأجل ذلك، والأهم ضمن إطار زمني محدد.. فعليه أولاً أن يحدد كم كيلو جراماً يحتاج أن يفقد، والمدة التي يرغب في إنقاص وزنه فيها، ولنقل إنه يرغب في فقدان عشرين كيلو جراماً، وأنه سيخصص لذلك مدة ستة أشهر كاملة، فيكون عليه أن يفقد في كل شهر ثلاثة كيلو جرامات، ثم عليه بعد ذلك أن يحدد الخطوات والإجراءات التي سيتخذها ليحقق ذلك الهدف، فهو سيقوم بالتسجيل في أحد مراكز التخسيس، وسوف يلتزم بحمية غذائية محددة، وسوف يخصص ساعة صباح كل يوم لممارسة التمارين الرياضية، وسوف يتناول الأعشاب التي تساعد على ذلك مرتين يومياً، وسوف يقوم بإفراغ ثلاجته وخزانة مطبخه من كل الأطعمة التي

ستعيق تحقيق هدفه بفقدان الوزن الزائد من الدهون المشبعة والمتحولة والسكر والمعجنات والكربوهيدرات غير الصحية، ثم سيبدأ في مراقبة تطوره خلال مدة محددة، فيقيس وزنه كل شهر مثلاً.. وبهذا فقد اكتملت أركان خطته: فلدينا أولاً خطوات محددة، ولدينا ثانياً إطار زمني محدد، ولدينا أخيراً القدرة على قياس التطور والتحسن والتقدم في الهدف.. هل فهمتني بوضوح؟

_ نعم فهمت.

_ حسناً، أعطني أحد أهدافك لنبدأ في إعداد خطة له، وليكن عملاً في شركة كبيرة للمقاولات.. كيف تعتقد أنه يمكنك الوصول لهذا الهدف؟

_ بصراحة لست واثقاً، أمم، حسناً عليّ أن أبدأ بالسعي المباشر، أن أذهب وأحاول مراراً وتكراراً.. أليس كذلك؟

_ عليك أن تحاول حقا، لكن ليس بشكل مرتجل عشوائي، بل بخطة دقيقة ومدروسة، فتبدأ أولا بعمل مسح للشركات التي تستهدفها حسب نطاق المكان الذي تريد العمل فيه، وأيضا حسب حجم الشركة التي تريد العمل فيها، ثم تدرس احتياجات هذه الشركات التي تريد العمل فيها، وأن تبدأ في التقديم فيها عبر جدول لا تنسى فيه شركة واحدة، والأهم أن تجعل من نفسك مؤهلا لهذا المكان ضمن برنامج زمني محدد لانتجاوزه.

_ ماذا تعني بأن أجعل من نفسي مؤهلا لهذا المكان؟

_ عليك أن تجعل من نفسك مناسبا لذلك الهدف الكبير الذي تود الحصول عليه.. عليك أن تطور ذاتك.

تذكر..

فإذا أردت تحقيق هدف ما

فعليك أن تضع برنامجا لتحقيقك ذلك الهدف

يضم خطواتك، والمدة الزمنية التي يجب أن تستغرقها كل خطوة ثم تقيس خطواتك وتطورك في ضوء الخطوات والمدة المقررة وهذه هي الخطة بكل يسر.

أحبة الضاد

الفصل الخامس

طوّر ذاتك.. ونمّ مهارتك..

أحبة الضاد

قال أحد الحكماء:

" إن كثيرا من الناس وصلوا إلى أبعد مما ظنوا أنفسهم قادرين عليه؛ لأن شخصا آخر ظنّ أنهم قادرون على ذلك".

يجب أن تكون منطقيًا وأنت تبحث عن وظيفة كتلك.. فما الشيء الذي سوف تقدمه أنت له لتجبره على قبولك في شركته.. يجب أن تقدم له شيئًا مميزًا ليكون راغبًا في الحصول عليك والاحتفاظ بك.. أن تقدم نفسك له بطريقة تجعله راغبًا فيك.

هل تقصد سيرتي الذاتية؟ لقد كتبتها، ولكن أنت تعلم.. لقد عانيت من ضيق ذات اليد طويلاً.. مما منعني من الالتحاق بدورات تدريبية وكذلك الحصول على المزيد من الشهادات، لذلك فلن

تكون سيرتي الذاتية قوية ومطلوبة كما تعلم..

فأنا ليس لدي الكثير فيها

_ أنا لا أقصد سيرتك الذاتية.. وها أنت ذا تعود

لتركز على الجوانب السلبية في حياتك.. ركز

على الإيجابية قليلا.

_ حسنا.. حسنا.. ماذا تريدني أن أقدم له؟ وكيف

سأقدم ذاتي إذن؟

_ يافريد أنت تعلم جيدا أننا في عصر الثورة

التكنولوجية والمعلوماتية، يمكنك أن تتعلم كل

شيء عن أي شيء بضغطة زر، كما يمكنك

الحصول على دورات مجانية عبر الإنترنت،

الكثير من الكتب والمقالات، الكثير من التجارب

والخبرات، يمكنك أن تكتسب المهارة الكاملة

لكنك تفضل الشكوى على التعلم والمحاولة.

_ تعني أنني المخطيء من جديد.

قال وهو يتبسم: بالطبع يافريد، لقد عرفت قصصا تخطى أصحابها عن مراكز ومناصب قوية لأجل الحصول على التعلم.

مدّ يده إليّ بكتاب فالتقطته وهو يقول:

تفضل هذا الكتاب اقرأ القصة الأولى فيه.

التقطت الكتاب، ونظرت لغلافه فوجدت عنوانه "كيف أصبحوا عظماء" للدكتور سعد الكريباني، قلبت في محتويات الكتاب، وفتحت على القصة الأولى، فوجدتها معنونة بـ "تاكيو أوساهيرا"

يقول الياباني تاكيو أوساهيرا:

"ابتعثتني حكومتي للدراسة في جامعة هامبورج بألمانيا، لأدرس أصول الميكانيكا العلمية، ذهبت إلى هناك وأنا أحمل حلمي الخاص الذي لاينفك عني أبدا، والذي خالج روحي وعقلي وسمعي وبصري وحسي، كنت أحلم أن أتعلم كيف أصنع محركا صغيرا. كنت أعرف أن لكل صناعة

وحدة أساسية أو ما يسمى موديلا، وهو أساس الصناعة كلها، فإذا عرفت كيف تصنعه فإنك وضعت يدك على سر هذه الصناعة كلها، وبدلاً من أن يأخذني الأساتذة إلى المعمل أو مركز تدريب عملي، أخذوا يعطونني كتباً لأقرأها، وقرأت حتى عرفت نظريات الميكانيكا كلها، ولكنني ظلت أمام المحرك أياً كانت قوته وكأنني أقف أمام لغز لا يُحل، كأنني طفل أمام لعبة جميلة لكنها شديدة التعقيد، لا أجروء على العبث بها.. كم تمنيت أن أداعب هذا المحرك بيدي، كم أشتاق إلى لمسه وتعرف مفرداته وأجزائه، كم تمنيت لمه وضمه وقربه وشمه، كم تمنيت أن أعطر يدي بزيتته، وأصبغ ثيابي بمخاليطه، كم تمنيت وصاله ومحاورته والتقرب إليه، لكنها ظلت أمنيات.. أمنيات حية تلازمي وترادني أياماً وأياماً.. وفي ذات يوم قرأت عن معرض محركات إيطالية الصنع، كان ذلك

أول الشهر وكان معي راتبي، ذهبت إلى المعرض فوجدت فيه محركا بقوة حصانين، ثمنه يعادل مرتبي كله، فأخرجت الراتب ودفعته للبائع، حملت المحرك وكان ثقيلًا جدًا، وذهبت إلى حجرتي ووضعته على المنضدة، وجعلت أنظر إليه كأنني أنظر إلى تاج من الجواهر، وقلت لنفسي: هذا هو سر قوة أوروبا!! لو استطعت أن أصنع محركا كهذا لغيرت اتجاه تاريخ اليابان، وطاف بذهني خاطر إن هذا المحرك يتألف من قطع ذات أشكال وطبائع شتى، مغناطيس كحدوة الحصان وأسلاك وأذرع دافعة وعجلات وتروس وما إلى ذلك، لو أنني استطعت أن أفكك قطع هذا المحرك وأعيد تركيبها بالطريقة نفسها التي ركبوها بها ثم شغلته فاشتغل، أكون قد خطوت خطوة نحو سر موديل الصناعة الأوروبية.. بحثت في رفوف الكتب التي عندي، حتى عثرت على الرسوم

الخاصة بالمحركات، فأخذت ورقا كثيرا وأتيت بصندوق أدوات العمل ومضيت أعمل.. رسمت منظر المحرك بعد أن رفعت الغطاء الذي يحمي أجزائه، ثم جعلت أفكك أجزائه قطعة قطعة وكلما فككت قطعة رسمتها على الورق بغاية الدقة وأعطيتها رقما، وشيئا فشيئا حتى فككته كله، ثم أعدت تركيبه من جديد.. وفي هذه اللحظة وقفت صامتا قليلا.. إنه وقوف وصمت المتشكك.. هل سأنجح في تشغيله؟ وبسرعة قطعت شكي وأدرت المحرك.. فاشتغل، وما إن غرّد صوت المحرك حتى كاد قلبي يقف من الفرح.. استغرقت العملية ثلاثة أيام، كنت أكل في اليوم وجبة واحدة، ولا أصيب من النوم إلا مايمكنني من مواصلة العمل...

حملت النبا إلى رئيس بعثتنا، فقال: حسنا فعلت، الآن أختبرك، سأأتيك بمحرك متعطّل، وعليك أن تفككه وتكتشف موضع الخطأ وتصححه، وتجعل

هذا المحرك العاطل يعمل، كلفتني هذه العملية عشرة أيام عرفت في أثنائها مواضع الخلل، فقد كانت ثلاث من قطع المحرك بالية متآكلة صنعت غيرها بيدي، صنعتها بالمطرقة والمبرد. لقد كانت هذه اللحظات من أسعد لحظات حياتي، فأنا مع المحرك جنباً إلى جنب ووجهها إلى وجهه، لقد كنت سعيداً جداً رغم المجهود الكبير الذي بذلته في إصلاح هذا المحرك.. قربي من هذا المحرك أنساني الجوع والعطش، لا أكل في اليوم إلا وجبة واحدة، ولا أصيب من النوم إلا القليل.. ثم تأتي اللحظة الحاسمة لاختبار أدائي في إصلاح هذا المحرك بعدما جمعت أجزاءه من جديد، وبعد قضاء عشرة أيام من العمل الشاق أخذت يدي تقترب لإدارة المحرك.. وكم كنت أحمل من القلق والهم في تلك اللحظات العصيبة، هل سيعمل هذا المحرك؟ هل سأنجح بعدما أدخلت فيه بعض القطع التي صنعتها؟!!

وكم كانت سعادتني واعتزازي بعدما سمعت صوت المحرك وهو يعمل.. لقد أصلحته.. لقد نجحت.. بعد ذلك قال رئيس البعثة: عليك الآن أن تصنع قطع المحرك بنفسك، ثم تركيبها محركا.

ولكي أستطيع أن أفعل ذلك التحقت بمصانع صهر الحديد وصهر النحاس والألمونيوم، فبدلاً من أن أعد رسالة الدكتوراه كما أرادني أساتذتي الألمان، تحولت إلى عامل ألبس بدلة زرقاء وأقف صاغراً إلى جانب عامل صهر معادن، كنت أطيع أوامره كأنه سيد عظيم، كنت أخدمه حتى في وقت أكله، مع أنني من أسرة ساموراي، والأسرة السامورائية هي من أشرف وأعرق الأسر في اليابان، لكنني كنت أخدم اليابان، وفي سبيل اليابان يهون كل شيء.. قضيت في هذه الدراسة والتدريبات ثماني

سنوات، كنت أعمل خلالها بين 10 و 15 ساعة في اليوم. فبعد انتهاء يوم العمل كنت أخذ نوبة حراسة، وخلال الليل كنت أراجع قواعد كل صناعة على الطبيعة..

وعلم إمبراطور اليابان بأمرى، فأرسل لي من ماله الخاص خمسة آلاف جنيه إنجليزي ذهباً اشترت بها عدة وأدوات وآلات لمصنع محركات متكامل، وعندما أردت شحنها إلى اليابان، كانت النقود قد نفذت، فوضعت راتبي وكل ما ادخرته خلال تلك السنوات الماضية لاستكمال إجراءات الشحن.. عندما وصلنا إلى نجازاكي قيل لي: إن الامبراطور يريد أن يراني، قلت: لن أستحق مقابلته إلا بعد أن أنشأ مصنع محركات متكامل. استغرق ذلك تسع سنوات.. تسع سنوات من العمل الشاق والجهد المتواصل..

وفي يوم من الأيام حملت مع مساعدي 10
محركات صنعت في اليابان قطعة قطعة،
حملناها إلى القصر ووضعناها في قاعة خاصة
بنوها لنا قريبا منه. أدرنا جميع المحركات
العشرة وانتظرنا دخول الامبراطور إلى القاعة،
ولما دخل ابتسم وقال: هذه أعذب سيمفونية
سمعتها في حياتي، صوت محركات يابانية
خالصة.. هكذا ملكنا الموديل وهو سر قوة
الغرب، نقلناه إلى اليابان، نقلنا قوة أوروبا إلى
اليابان، ونقلنا اليابان إلى الغرب.. وبعد ذلك
الحدث السعيد ذهبنا إلى البيت فتمت عشر
ساعات كاملة.. وهي أول مرة أنام فيها 10
ساعات كاملة منذ 15 عاما.."

بعد أن قرأت هذا الكلام بقيت شاردة لبعض
الوقت أحرق في الفراغ حتى جاء ضياء فجأة
وقطع شرودي، قائلا:

فيم تفكر كل هذا؟ هل قرأت القصة؟

نعم قرأتها، وهي سبب شرودي، فأنا أفكر في نفسي وفي شباب أمتي، كيف وصلنا إلى ما نحن عليه الآن من الهزيمة الداخلية والاستسلام، ولماذا نحن هكذا وهم هكذا؟ لماذا يفكرون بتلك الطريقة؟ ولماذا لانفكر نحن بها؟ لماذا صرنا زائدين على الحياة؟ ولماذا لم تعد لنا قيمة؟ لماذا لا نكافح ونعرق ونتج؟ لماذا نبقي ضعفاء مستوردين عالية على الأمم، نجلس على المقاهي نشكو حالنا، ومنتظر أن تمطرنا السماء ذهباً، وأن تحل مشاكلنا من تلقاء نفسها من دون أن نبذل جهداً في حلها؟

قال بحسرة ومرارة كانت تنزف من كلماته:

إنها الحرب يا عزيزي.. فقد اكتشفوا أن حربهم بالسلاح كانت تثير روح المقاومة والتعاون والإصرار على النصر، فأوقفوها، ثم أشعلوا

حربا باردة تستهدف دين الشباب وعقولهم
وعزيمتهم وأخلاقهم وحتى صحتهم وأسرهم،
صارت حروبهم لنا عبر الإعلام المرئي
والمسموع والمقروء تجعل من شبابنا غشاء تافها
لا قيمة له على صفحة الحياة، تلك الحرب التي
تقدم الرواية الغثة والفيلم الرخيص والمقطع
الإباحي النجس، تماما كما تقدم كأسا من الخمر
أو قطعة من المخدر، فجميعها تعمل على نفس
المستوى فتخدر العقل والروح، وتميت الضمير
الحي، وتترك وراءها أشباحا كأشباه البشر، لا
تنتفع منهم أمتهم بشيء.

نظرت لعينيه فوجدتهما مليئتين بالدموع، على
عكس ما اعتدت أن أرى ضياء الذي أضاء
حياتي بتفاؤله وإيجابيته، وقوة عزيمته وكلماته..
فبادرته لأقطع لحظة صمت ثقيلة:

_ ألا ترى النور في آخر النفق يا ضياء؟

تبسم برغم الألم الذي ملأ وجهه، فأضاء وجهه
 ذو الملامح الشرقية الأصيلة، ثم ضاقت عيناه
 وهو ينظر للبعيد، وكان دفعة من الحماسة تخرج
 منها.. وتحركت شفتاه في ثقة عميقة:

_بلى أراه بالطبع.. لقد جاءتنا بشارات قوية في
 القرآن والسنة، وسوف ييزغ الفجر وينقشع
 الظلام برغم كل مايفعلوه بنا، وسوف يملأ النور
 الدنيا برغم أنف الخفافيش الكثيرة التي تعيث في
 الظلام، ولكن.....

_ولكن ماذا؟

_يحزنني أن أرى أمتي على هذا الحال، يحزنني
 أن أتذكر كيف كان الرجال في أمتنا في كل
 مجال وكيف صاروا اليوم! لقد كان منا الصديق
 أبو بكر والفاروق عمر والأسد حمزة، وكان منا
 سيف الله خالد بن الوليد وداهية العرب عمرو بن
 العاص، وكان منا الفاتحون صلاح الدين وقطر

ومحمد الفاتح، كان منا ابن عباس ومجاهد
 وقتادة، كان منا ابن كثير والطبري والقرطبي،
 وكان منا البخاري ومسلم، ومنا الأوزاعي
 والشافعي وأحمد بن حنبل، وكان منا سعيد بن
 جبير ويحيى بن معين وعلي بن المديني، وكان
 منا الحسن بن الهيثم والإدريسي والبيروني
 والخوارزمي، وكان منا المقرئزي وابن النفيس
 وابن البيطار، وكان منا الخليل والأصمعي وابن
 منظور، وكان منا وكان منا... واليوم صرنا
 أبطالاً في الكرة والغناء وحتى الرقص مع
 الأسف

أهكذا يُختزل معنى الرجولة ليصير ممتهاً؟! لقد
 نجحوا مع الأسف في إكساب الرجال صفات
 الميوعة والدياثة، لقد نجحوا في أن يفقدوهم
 الهوية الإسلامية وفي جعلهم تابعين لهم في كل
 شيء، بداية من تصفيفة شعرهم وشكل

ملا بسهم.. ومرورا بسلوكلهم وأخلاقهم.. وحتى
مفاسدهم وردائلهم.

أوجعني ألمه، فأردت أن أغير اتجاه الحديث،
فأخبرته:

_تعلم ما الذى أثر فى أيضا فى تلك القصة
الجميلة؟

التفت نحوي، وقال ببسمة مصطنعة يكسوها
حزن دفين:

_ما الذى أثر فىك؟

قلت: أثار فى بشدة إصراره العظيم على تحقيق
هدفه، وحبه العميق لبلده، وحرصه على أن
يرفع شأنه بصناعة وطنية قوية، وتواضعه الذى
دفعه لأن يقبل أن يعمل فى مهنة تنظر لها
مجتمعاتنا بتعجرف وامتهان على الرغم من أنه
من عائلة كبرى، وبدل أن يعد رسالة الدكتوراه،
قبل أن يعمل فى تواضع كامل تحت يد عامل

ليتعلم كيف يصنع الماكينة التي يريد لها، كما
 أعجبني وبشدة انهماكه في هدفه إلى الحد الذي
 نسي معه حاجات جسده فأخذ من وقت طعامه
 ونومه ليعطي هدفه.

معك حق، هدف قوي استولى على كيانه
 بأكمله، فلم يسمح للعقبات أن تقف في طريقه،
 وأصر على تحقيقه مهما حصل.. وهذا المشهد
 بالتحديد الذي تكلمت عنه هو ما يعيدنا لشباب
 أمتنا الذي يتفنن في قتل الوقت.. ليس على
 حاجات الجسد وحسب، بل على نزوات
 وتصرفات خرقاء تضيع دينه وصحته وخلقته..
 يستهلكون الساعات في الجلوس على المقاهي،
 وفي التنافس الغث على لعبة من ألعاب
 الحاسوب، أو مباراة لكرة القدم.. فأنى لمثل
 هؤلاء الفارغين أن يصنعوا لأنفسهم نجاحا،
 فضلا عن أن يصنعوا لأمتهم مجدا!

قلت مستسلما: معك حق.. لكن ما الرسالة المحددة التي أردت أن توصلها لي بدفعك إياي لقراءة تلك القصة؟

إن القصة التي قرأتها تثبت لك أن تطوير الذات لا علاقة له أبدا بالظروف، فمهما كانت الظروف صعبة والعقبات كثيرة، فمن يرغب حقا في تطوير ذاته سوف يتجاوز كل ذلك، ويوجد لنفسه الوقت والجهد والمال ليطور ذاته، لقد حرم نفسه النوم وقلل من طعامه ودفن راتبه بأكمله ليشترى تلك الآلة التي تساعد على التعلم، بل وتخلي عن مركزه في البعثة ومكانته في الجامعة ورسالة الدكتوراه ليعمل في مهنة متواضعة تمكنه من تطوير ذاته بتعلم سر صنع الماكينة.. هل فهمت ذلك؟ هل أدركت كيف تعمل تلك الروح المثابرة التي لاتسمح لشيء أن يعيق تطويرها لذاتها؟

_نعم وعيت وأدركت

_إذن الآن عليك أن تبدأ في اكتساب المهارات التي تنقصك، وتعلم ما يجب عليك تعلمه، الخبراء يؤكدون أن من يقرأ كتابا واحدا كل شهر في تخصصه فسوف يحرز تقدما كبيرا ومذهلا في مدة يسيرة، ويصير من المتمكنين في مجاله، يجب عليك أن تحرص ألا يمر عليك يوم جديد من دون أن تتعلم شيئا جديدا يفيدك.

_ولكن يا ضياء أنت ترى ظروفى ووقتى، وتعلم أنني لا أستطيع أن أجد وقتا لذلك، فأنا مضطر للعمل باستمرار لأوفر لأسرتى ما أستطيع توفيره لحاجاتهم الأساسية، لا أستطيع أن أتخلى عنهم وأجلس لأطور ذاتى.. لا أجد وقتا

_اسمعنى جيدا يافريد، ليس هناك ما يمنعك من تطوير ذاتك سوى ذاتك أنت.. سوى تخاذلك وسوء إدارتك لوقتك، وعدم إدراكك لأهمية

التعلم وعدم حرصك عليه.. لكن يجب عليك أن تعلم وتفهم جيدا أنك من دون أن تطور ذاتك ستبقى قابعا في مكانك لن تبرحه.

حسنا، سأضمن خطتي برنامجا لتطوير ذاتي، وسأبدأ في إعادة جدولة وقتي لأدخل برنامج التعليم ضمن برنامجي اليومي قدر ما أستطيع، فلا يوجد ما يمنعني من القراءة حتى وأنا جالس في الشارع أبيع بضاعتي الرخيصة

_ أحسنت يا فريد، وهذا ما يجعلك تتعلم حقا وتكتسب قوة لا يستطيع أحد أن ينتزعها منك، وتصير مرغوبا حقا في سوق العمل، ولكن عليك أن تقدم شيئا آخر للشركة التي تتقدم لها طالبا للعمل

_ وما هو؟

_ عليك أن تصنع شيئا مميزا.. أن تريه نماذج من عملك ومن قدرتك الممتازة على التصميم،

لقد كنت أكثرنا تميزا في التصاميم الهندسية، لقد كانت نماذجك تثير دهشة الأساتذة فضلا عن إعجابهم.. أنت متفوق حقا.

_ هل تعني أن أرسم من جديد؟

_ نعم، عليك أن تفعل ذلك.. واليوم.. عليك أن تعد تصاميم قوية لتعرضها على الشركات التي تتقدم لها، لتعلن عن ذاتك وعن إنجازاتك وعن نجاحاتك، وتقول ها أنذا.. لتجعله راغبا حقا في الحصول عليك .

_ حسنا، ولكن...

_ لا يوجد لكن.. إذا أردت أن تنجح فعليك أن تحذف كلمة لكن من حياتك.. وللأبد وتذكر ألا تكون كذلك الحطاب الذي قرأت قصته الرمزية في كتاب ستيفن كوفي.

وقبل أن أسأله عن ذلك الخطاب كان الكتاب موضوعاً في يدي مفتوحاً على الصفحة المطلوبة، فقرأت قصته بشغف

"كان هناك رجل قوي البنية يعمل خطاباً، وجد عملاً في شركة لتقطيع أشجار الغابة، و في اليوم الأول لعمله، أعطاه رئيس العمال فأساً، وأخذه إلى المكان الذي يبدأ فيه عمله في تقطيع أشجار الغابة، و لشدة حماسة الخطاب، ولكي يبرهن لرئيس العمال على نشاطه و مهارته، قام بقطع ثمانية عشر شجرة كبيرة، فتعجب رئيس العمال و أثنى عليه و شجعه، فمضى الخطاب فرحاً فخوراً.

و في اليوم التالي، بدأ الخطاب عمله بهمة و نشاط، و حماسة أكبر لكي يقطع عدداً أكبر من الأشجار، لكنه في نهاية اليوم لم يقطع سوى خمس عشرة شجرة ، و في اليوم الثالث كان

الوضع أسوأ، إذ قطع نحو عشرة أشجار، و هكذا يوماً بعد يوم ينقص عدد الأشجار التي يقطعها هذا الحطاب قوي البنية، مع أنه لا يشعر بأي تعب، والأشجار هي نفس الأشجار، فذهب بعد عدة أيام يعتذر لرئيس العمال، و يخبره بأنه لا يعرف ما الذي حصل، فابتسم رئيس العمال و قال: متى كانت آخر مرة شحذت فيها فأسك؟ فاستغرب الحطاب، و قال متسائلاً: أشحذ فاسي، لقد كنت مشغولاً جداً في قطع الأشجار!!

حسناً.. سأبدأ من اليوم بإذن الله في شحذ فاسي

ونهضت بسرعة واقفا لأعود إلى بيتي لأعمل.

فجذبني ضياء وأجلسني من جديد

اجلس اجلس.. لم تكمل غداءك بعد.

ولكنني من فرط الحماسة التي أصابتنني لم أعد

قادراً على الجلوس ولا على تناول المزيد من

الطعام، فقلت له بحماسة لم يستطع تجاهلها:

لقد شُبعْتُ والحمد لله.. يجب أن أذهب، فعليّ
أن أبدأ بسرعة.

توقدت عينه بابتسامة مشعة، رأيت فيها بارقة
الأمَل تشع على حياتي أنا من جديد، وقال لي
واثقاً:

تعجبني الحماسة، انطلق وابدأ.. وكن مصراً
على أن تنجح.. وسوف تنجح بإذن الله
أسرعت خطاي نحو باب المنزل، فلقق بي
ضياء وقال لي:

انتظر، لقد أخذتك الحماسة ونسيت ورقة
أهدافك.. ألا تريدها؟
قلت بحماسة: بلى أريدها بالطبع.. إنها مهمة
جداً.

مددت يدي والتقطتها منه، وضمت يدي عليها بقوة، ثم نظرت في عينيه وشعرت بالكثير من الامتنان، وقلت له بالحاح:

شكرالك يا ضياء.. شكرا.. لقد غيّرت في نفسي الكثير اليوم.. ولا أعلم لو لم أقابلك اليوم ما الذي كان سيصيني.

ربما أكون قد ظهرت اليوم خصيصا لأنك فعلا كنت بحاجة لتلك الكلمة التي تساعدك.. لكن الفعل الآن في يدك أنت.. فكن إيجابيا.. ونفذ ما تعلمته.. فالكلام لن يغير حياتنا.. ولكن الفعل الذي نقوم به هو ما يغيرها حقا.

حسنا يا صديقي.. سأفعل بإذن الله.. السلام عليكم.

أغلقت الباب وأسرعت نازلا عبر الدرج وكأني أطيّر، وكنت سابحا في عالم جديد والأمل يحدوني نحو النجاح.. وانطلقت أحث الخطا حتى

وصلت إلى بيتي، ولكنني ما إن وصلت إلى البيت حتى وجدت الوجود يحل على المنزل، والوجود كثييرة أكثر من العادة، فخفق قلبي وخفت على أمي، فبادرت أختي بسرعة قائلاً:

هل أمي بخير؟

تذكر..

ليس هناك ما يمنعك من تطوير ذاتك

سوى ذاتك أنت..

سوى تخاذلك وسوء إدارتك لوقتك،

وعدم إدراكك لأهمية التعلم

وعدم حرصك عليه. لكن يجب عليك أن تعلم

وتفهم جيداً

أنك من دون أن تطور ذاتك ستبقى قابعا في

مكانك لن تبرحه..

الفصل السادس

واجه المعوقات

أحبة الضاد

"الحواجز وضعت من أجل هدف كبير"

انحدرت دمعة خاطفة من عيناها فمسحتها بطرف
 اصبعها بسرعة، فخفق قلبي فزعا وانقطعت
 أنفاسي، ثم تنهدت وقالت:
 _ نعم إنها بخير والحمد لله.

استعدت أنفاسي وقلت لها مستاء: إذن مابك ولم
 أنت واجمة هكذا؟ هل حدث شيء.
 قالت وهي تداري عيناها الحزينة مني:

_ لا شيء مهم، لقد اتصل خاطبي وقال إنه قد
 انتظر طويلا وأن ظروفنا لا يبدو أنها ستتحسن
 أبدا، لذا سيضطر لفسخ خطبتنا.. و.. تمنى لي
 حظا سعيدا.....

ثم استدارت وانصرفت بسرعة إلى حجرتها.

تغير وجهي وأظلمت الدنيا في عيني، وأحسست بدوار شديد وكان أحدهم قد ضربني بحجر فوق رأسي.. وفجأة دار رأسي للوراء وفقد كل شحنة الأمل التي كانت تتدافع فيه منذ قليل، فسقطت من على جبل الأحلام لأصطمم بحدة بصخرة الواقع المرير.. بالمشكلات التي تطوقني وتحيط بي من كل جانب.

لحقت بها إلى حجرتها، وطرقت الباب، فأجابتي بصوت مبحوح من أثر البكاء وقالت:

تفضل.

لم أجد دموعا تسيل، لقد أخفت دموعها عني ولكن أثر البكاء لا يزال على عينيها ووجنتيها.. إنها تبكي.. وأنا أتألم لأجلها ولا أعلم ما الذي أستطيع أن أفعله لها.. ولا أملك لها حلا.. ولكنني تبسمت لها رغم ألمي وصعوبة الموقف، وقلت لها:

أرجوك لا تحزني.. أنا...

ولم أعلم ما الذي أقوله.. وما الذي يمكنني أن أفعله لأجلها لأزيل هذا الحزن عنها.

ولكنها لحسن حظي هي من قاطعت كلامي، وبادرت تواسيني وكأنني أنا المجروح لا هي، فقالت لي وقد رسمت ابتسامة مصطنعة على وجهها الحزين:

_لا تقل شيئاً.. لست مضطراً لأن تقول شيئاً.. لا بأس بما حدث.. لقد كنت أنوي أن أتركه على كل حال.. كان يجب أن أفعل ذلك.. فظرونا الآن لم تعد تسمح بهذا الزواج.. نحن بحاجة للمال لأجل أمننا المريضة.. وهذا أهم بكثير من أي شيء آخر.

لم أجد ما أقوله، ولقد قطع كلامها كل كلام يمكن أن يقال.. فتلك هي الحقيقة المرة.. ظروفاً لم تعد تسمح بالزواج.. هي محقة.. وأنا لا أعرف

كيف أتصرف.. ولا حتى ماذا يمكنني أن أقول..
ومن الأفضل أن أصمت الآن.

قلت لها بصوت بائس: سأذهب لأطمئن على
أمي.

وهممت بالانصراف ولكنها قاطعت خطواتي
المتعثرة وقالت لي:

_دعها تستريح.. إنها نائمة الآن بعد ليلة طويلة
من المعاناة.. فلقد كانت تتألم طيلة الليل ولم تذوق
طعم النوم، اتركها تسترح قليلا.

زادت كلماتها من معاناتي فلم أزد عن أن أومأت
لها برأسي موافقا واندفعت بخطاي لحجرتي وأنا
أشعر أنني أحمل جسدي فوق رأسي، وأنتي لا
أقوى على السير.. ولكنني هدأت نفسي قليلا..
لعل هذا أفضل ألا أراها الآن.. فأين سأهرب من
عينها المتألمة لأجل أختي.. وهي بالتأكيد تشعر
بالذنب لأن مال زواجها قد دفع لعلاجها هي، لو

علمت قبل أن ندفعه لمنعتنا تماما ولكننا فعلنا كل شيء من دون أن نخبرها.. وهل كان لدينا حل بديل؟! هل كان علينا أن نتركها تموت؟

في طريقي لحجرتي مررت بحجرة أخي فسمعت صوت شيء يرتطم بالأرض بشدة وبكاء مكتوم، فطرقت الباب ودخلت لأجده جالسا أمام طاولة المذاكرة وقد حنى رأسه بين يديه مستسلما للبكاء، ووجدت كتابه ملقى على الأرض عند الجدار، لم أقل شيئا، وما كان عندي ما أقوله.. فأشحت بوجهي وأغلقت الباب واندفعت صوب حجرتي.. وأغلقت الباب على نفسي بسرعة وأسندت رأسي على الباب وكأني أهرب من كل تلك العيون المتعلقة بي والمنتظرة مني ما يحل لهم مشكلاتهم وأنا عاجز عن كل ذلك.. ثم انزلت جالسا على الأرض.. وأحسيت رأسي على ركبتي.. وقلت لنفسي بصوت يائس:

"لا أمل.. لا أمل.. لقد كنت أحلم.. أحلم فقط.. لن يحدث أي شيء يغير تلك الحياة الصعبة.. أنا كما أنا سأبقى في القاع.. ولن تتغير أموري إلا للأسوأ"

ثم دخلت في نوبة عارمة من البكاء الحار.. وكان دموعي نارا تحرق في عيني وجلدي، وتخترق جسدي فيتلفظ كله معها، مشيت بخطى متعثرة وارتميت على فراشي

"ماذا أفعل يارب؟ أنا مكتوف اليدين.. لقد ضاقت عليّ الدنيا، لا أجد أملا ولا أجد حلا، لقد سُدَّت كل الأبواب في وجهي.. يارب اجعل لي مخرجا من كل هذا، أوجد لي بارقة أمل في محني المتلاطمة من عندك أنت"

وظللت أدعو وأبكي حتى استغرقت في نوم عميق.. وحين استيقظت من نومي.. وجدت نفسي أتحسس جيبي لأخرج منه تلك الورقة التي

كتبت فيها أهدافي لأنظر فيها، فوجدت رقم هاتف صاحبي ضياء مكتوبا في أسفلها وقد كتب لي أن أتصل به في أي وقت أحتاج فيه لنصيحته..

رفعت سماعة الهاتف من دون تردد، واتصلت به فبادرني بصوته الباسم الذي يحيي الأمل في نفسي، قصصت عليه كل ما مررت به من أحداث في يومي.. متسائلا عما يمكنه أن يعيد لي الحماسة التي فقدتها، قال لي:

تفاءل.. إن التفاؤل في حد ذاته هو فعل إيجابي قوي.. يدفع حياتنا في اتجاه أفضل.. تيقن أن الخير آت.. وأن المشاكل كلها في طريقها للزوال، اعلم أن أصغر الأشياء قد تدفع حياتنا في الاتجاه الأفضل.. قد تتعد حياتنا وتزداد مشاكلنا حدة وسوء.. ولكن فجأة تنقشع

المشكلات كلها.. وتيأتينا الفرج من حيث
لانتسب..

ثق في الله يا صديقي.. ثق في تدبير الله لأمرك
ولأمور أسرتك.. ادع الله بيقين، وتضرع له لكي
يحول حياتك لطريق آخر.. ثق بأن الله لا يفعل
لنا وبنا إلا خيرا.. وأن اختيار الله لأختك سيكون
خيرا من اختيارها لنفسها.. لا تستعجل..

أما علمت كيف اختار لنا الله الطريقة التي
نتعامل بها مع المشكلات الحالكة واجتماع
المصائب علينا؟ لقد قال في كتابه الكريم: {الَّذِينَ
إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ
رَاجِعُونَ} {156} أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ
وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ} {157}، وقال
جل جلاله: {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا
لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ} {45} الَّذِينَ يَظُنُّونَ
أَنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} {46}

استرجع، وقم الآن وصل لربك ركعتين.. وتأكد أنه سيجعل لك مخرجا، وسيشق لك من قلب محنك المظلمة طريقا نحو النور..

تذكر أن المشكلات جزء لا يتجزأ من حياتنا، فنحن في دنيا ولسنا في جنة.. وليس المهم ما يحدث لنا بقدر أهمية الطريقة التي نستقبل بها الحدث وكيف نفسره ونتعامل معه.

تعامل مع المعوقات والتحديات والمشكلات لاتستسلم، فالطريق ليس مفروشا بالورود.. إنه صعب وشائك وطويل.

قمت فشغلت حاسوبى.. وفتحت برنامج التصميم.. وبدأت أصمم.. لكنني ما إن بدأت العمل حتى شعرت أن الأفكار تهرب مني.. وأنني فاقد للقدرة على العمل والتركيز.. فاقد للحماسة والهدف.. فأطفت حاسوبى من جديد.. وعدت إلى الفراش.

شردت بذهني.. هل يمكن حقاً أن يكون ما أفعله الآن ذا جدوى وقيمة؟ هل يمكن أن أنجح حقاً كما يزعم ضياء؟ أم أنني أعلق نفسي وأحلامي بخيط واه من خيوط العنكبوت؟

أغمضت عينيّ وبدأت أتصور ذلك التصميم المميز الذي أريد أن أعده لأبهر به من أتقدم للعمل لديهم.. ثم ذهبت بخيالي نحو حظوة ذلك التصميم بانبهار المدراء وثنائهم عليه، وقبولي للعمل بشركة كبيرة، شعرت بالحماسة تدب في أوصالي، وتساءلت لم لا؟! هل بدأت كل الإنجازات العظيمة إلا بفكرة.. مجرد فكرة عاشها أصحابها بكل قلوبهم وجوارحهم، وبذلوا لأجلها وضحوا وصبروا عليها؟ لم لا أكون واحداً من هؤلاء؟! لم لا أفعل ذلك حتى لو لم أنجح؟ فلقد كنت أشعر بسعادة بالغة حين أصمم تصميمًا جميلًا، وأرى إنجازي أمام عيني، فلماذا لا أفعل ذلك الآن وفوراً؟! وفجأة استولت تلك

الصور على عقلي.. فوجدت نفسي مندفعاً من جديد نحو العمل.. قمت فتوضأت وصليت ركعتين.. ودعوت الله أن يوفقني فيما عزمته عليه من أمر وأن يساعطني على إنجاز أهدافي، ثم شلغت حاسوبى من جديد.. وبقيت أعمل لساعات طويلة لأقطع عملي إلا لأجل الصلاة.. ثم أعود إلى غرفتي فأغلقها وأواصل العمل.. ولم أنم في تلك الليلة إلا متأخراً.. وفي الصباح الباكر قمت لأصلي الفجر، ثم أقيت نظرة على تصميمي.. وأجريت به بعض التعديلات.. ثم ذهبت لأجالس أمي قليلاً وأطلب إليها الدعاء لي، وقبّلت يديها ورأسها ثم انطلقت حاملاً هدفي وأملى الجديد قبل تصميماتي، وذهبت لخمس شركات كبرى، فقدمت فيها سيرتي الذاتية مع نماذج من تصميمي، ثم ذهبت لعملي الكادح من جديد.. هناك في الشارع المزدحم.. لأكمل عمل الأمس.. وجلست خلف كومة البضائع الرخيصة

التي حطّم أكثرها ذلك الرجل بالأمس .. ولكنني
مع ذلك كنت أحمل نفسا جديدة.. تهفو نحو الأمل
الكبير..

جلست في موضعي أراقب بضاعتي القليلة
بعيني.. بينما ذهني شارد في المعوقات التي
تعرضت لها والتي سوف أتعرض لها فيما بعد..

لقد تعرضت لحرمانني من فرص كنت أحق بها،
ولكن لعل ذلك كان خيرا لي، فلربما الطريق
الذي أمامي الآن هو خير من الطريق الذي كنت
سأسير فيه لو حصلت على فرصتي بالجامعة.

لقد كان موت أبي وفقداننا ممتلكاته من السيارة
التي كنا نعيش بها واضطراري لتحمل مسؤولية
الأسرة، ثم مرض أمي وبيعنا الأرض التي كنا
ندخرها لزواج أختي لأجل العلاج.. لقد كانت
كلها معوقات وقفت في طريقي فجعلت منه
صعبا شائكا.. لكن الاستسلام للمعوقات جبن

وتخاذل.. وطريق النجاح لم يكن في يوم من الأيام سهلا ولا مفروشا بالورود كما قال ضياء.. فكل الناجحين قد واجهوا الكثير من المعوقات.. ولقد كان إصرارهم وعزيمتهم القوية وإرادتهم الصلبة أحد الدعائم التي قام عليها نجاحهم.. فلماذا لا أكون مثلهم؟! لماذا لا أتحدى كل المعوقات التي في حياتي الآن لأصنع نجاحي كما صنعوا؟ ما الذي يختلف في عنهم.. جميعنا واجه المعوقات والصعوبات.. فلماذا يستسلم بعض الناس ويصر آخرون حتى يصلوا.. لابد أن تكون إرادتي قوية وعزيمتي صلبة لا تفت فيها المحن.. ولا بد أن أمتلك ذلك الإصرار الذي قادهم من القاع نحو النور..

وبينما أنا جالس في موضعي وذهنني شارد في عالم الهدف الجديد.. فوجئت بضياء يقول
منزعجا:

_ هاقد عثرت عليك أخيرا.. لقد أتعبتني يارجل.

_ ضياء! ما الذي أتى بك إلى هنا الآن؟

_ أنا منذ ساعتين أدور في المكان باحثا عنك
يارجل.

_ ولماذا؟

_ بالأمس حينما كنت بالمشفى لرؤية صغيرتي
الجميلة تعرفت على طبيب رائع متخصص في
العلاج الطبيعي، لقد كانت ابنة أخته في وحدة
البسترة أيضا وقد جاء بصحبة أخته للاطمئنان
عليها؛ لأن زوجها مسافر في رحلة عمل..
وحين تجاذبنا أطراف الحديث اكتشفت أنه طبيب
بارع يعالج حالات السرطان المستعصية على
الرغم من صغر سنه، ولما أخبرته عن حالة
أمك رحّب بها وأخبرني أنه يمكنه رؤيتها بعد
أسبوع، ولكنه اتصل بي اليوم وأخبرني أن أحد
المواعيد اليوم قد تم الغاؤه ويمكنه أن يراها

اليوم، لذا آثرت ألا نفوّت الفرصة، فهو طبيب ناجح وعيادته دائمة الازدحام وعلينا أن نسرع في اغتنام تلك الفرصة، لذا هيا بنا لنصطحب أمك ونزوره فقد بقي ساعة فقط على الموعد، ولا زال علينا أن نعود للمنزل لكي تستعد أمك للذهاب.

أصبت بحرج شديد فأنا لا أملك في جيبى ثمن أجرة السيارة فضلاً عن كشف الطبيب والعلاج، وتوترت، وقلت له:

شكرا لك يا صديقي.. لا تشغل بالك بهذا الأمر.. فأمي أحسن حالا الآن.. وهي ليست..

قاطعني ضياء بحدة فاجبتني وقد بدا على وجهه انزعاج شديد:

توقف عن معاملتي كشخص غريب يا فريد، ثم إن هذا الطبيب رجل شريف لا يتاجر بطبه، ودواؤه، وأسعاره ليست مكلفة أبداً، وهو لا

يحصل إلا على القليل من المال كأجر له.. دعني
أشارك في هذا العمل فأنا طامع في الأجر من
الله.

شعرت بوخزة تسري في عروقي حينما قال
ذلك، فبادرته بأسلوب فظ:

_نحن لا ننتظر عطا من أحد، وأمي لا تأخذ
الصدقات

بدا الحزن على وجه ضياء:

_مالذي تقوله يا فريد؟ هل تظن أنني أعطف
عليك وعلى أمك؟ أنت صديقي.. وتلك فقط
المساعدة اليسيرة التي يمكنني تقديمها لك، والتي
كنت سأنتظرها منك لو كنت في نفس مكانك..
لا تكن شديد الحساسية.. هيا قم معي الآن.. فأنا لا
أخذ رأيك وإنما هو أمر

_لن أفعل.

إذن دعنا نعتبر تلك النقود ديناً عليك، وأعدك أنني سأسترده منك بأكمله حين تتيسر أمورك.

بدا علي التردد، هل سأقدر على رد دينه علي حقاً، فجذب ضياء يدي، وحثني على السرعة، وقال لي:

هيا.. لاتكن عنيداً.. إنها حياة أمك.

حسناً.. دعنا نفعل ذلك الآن.. ولكن عدني أنك ستسمح لي بسد هذا الدين حينما تتيسر أموري.

اعدك بهذا.. هيا بنا.. وأسرع فالوقت يداهمنا ولو فاتنا ذلك الموعد لن نحصل على موعد آخر قبل أسبوع أو أكثر.

اسرعت إلى المنزل وبشرت أمي بأمر الطبيب، ففرحت وحمدت الله، وجهزتها أختي بسرعة، وأخذتها وذهبت لملاقة الطبيب الشاب في عيادته.

تذكر..

طريق النجاح لم يكن في يوم من الأيام سهلا ولا مفروشا بالورود.. فكل الناجحين قد واجهوا الكثير من المعوقات.. وكان إصرارهم وعزيمتهم القوية وإرادتهم الصلبة أحد الدعائم التي قام عليها نجاحهم..

فلماذا لا تكون مثلهم؟! لماذا لا تتحدى كل المعوقات التي في حياتك الآن لتصنع نجاحك كما صنعوه؟

الفصل السابع

كن إيجابيا في توقعاتك

أحبة الضاد

"أكبر عائق أمام النجاح هو خوف الفشل"

لقد مضى الآن خمسة أشهر وأنا لا أتوقف عن العمل الدعوب، والتقديم في الشركات، والحمد لله لقد رفضتني عشرات الشركات، ومع ذلك لا زلت مستمرا ولازال الأمل يحدونني، وعلى الرغم من أن حياتي لم تتغير كثيرا فيما يخص العمل والنجاح، إلا أن دقائق الأمل قد ازدادت في حياتي كثيرا؛ لأن حياة أسرتي قد تغير فيها الكثير والحمد لله.. فهاهي أمي قد أبدت استجابة ممتازة للعلاج الطبيعي، فقد عمل هذا الطبيب المحترم على رفع جهاز مناعتها بأطعمة يسيرة كالعسل الأصلي وصمغ البروبليس والحبة السوداء والثوم والبصل وزيت الزيتون، كما أعطاهما نظاما غذائيا يعتمد على الخضار الطازجة مع الحبوب وأمرها بالإكثار من الصيام

مع تناول بعش المشروبات العشبية رخيصة الثمن كالكرم والزنجبيل والريحان وأيضا المداومة على عصير الجزر والرمان والليمون من دون سكر، مع الامتناع عن الأطعمة الضارة.. مع نظام سلوكي تسير عليه من استنشاق الأكسجين والحركة والنشاط والنوم المبكر بعد صلاة العشاء مباشرة في ظلام دامس لتنشيط هرمون الميلاتونين.. ولقد أبدت استجابة جيدة وتحسنا ملحوظا والحمد لله..

وكان الأمر الآخر الذي زاد من سعاداتي واطمئناني أن هذا الطبيب الشاب قد وجد في أختي الزوجة المناسبة التي كان يبحث عنها، فهي فتاة حسنة الوجه والخلق، عفيفة حيية محتشمة في سلوكها وملبسها، تتأى بنفسها عن مخالطة الرجال، وعلى الرغم من أنها قد حاولت التملص من هذا الزواج بسبب ظروفنا المادية المتعثرة.. فقد خافت أن تتعلق بالأمل من جديد

على الرغم من أن ظروفنا كما هي لم تتغير، إلا أنه حين فهم ظروفنا بوضوح قد أصرّ على الزواج بها، وأكّد انه لا يريد منا شيئاً.. وإنما يريد فقط زوجة صالحة، فإديه شقة صغيرة، وهي مكتملة التأسيس تقريباً.. وإن كان أثارها متواضعا.. ووعدنا أن يكمل الأثاث بعد الزواج شيئاً فشيئاً..

لقد سعدت بهذا الرجل الصالح جداً؛ لأنه أنقذني من تبعات الشعور بالذنب تجاه أختي وألمها بعد أن اضطررنا لعلاج أمي بمال زواجهما.. وإن كنت لم أقبله على الرغم من ذلك إلا لأنه رجل كفء لها حقاً.. فهو رجل صالح محافظ على صلاته، وهو رحيم القلب وعفيف اللسان وحسن الخلق، وهو فوق ذلك طبيب ناجح، ورجل بمعنى الكلمة.. فلقد احتكنا به طويلاً في مدة علاج أمي ولم أر منه إلا خيراً.. فاستخرت وعقدت عزمي وأتمنا العقد.. ولكن أختي طلبت

تأجيل البناء حتى يتم شفاء أمي.. لكي لاتركها وحدها في مثل هذه الظروف التي تحتاج فيها للرعاية.. وعلى الرغم من أن هذا الرجل الصالح قد عرض عليها أن تقيم أمي معها حتى تشفى لكي تكون تحت ملاحظته الكاملة، إلا أنها لما رأت معارضة أمي للأمر فضلت البقاء بجانبها حتى تتحسن، ولم يعارض هو ذلك لأنه رجل خلوق حقا..

الحمد لله لقد أثرت تلك الأحداث الطيبة في حياتي كثيرا..

الممارسة الأهم التي صرت محافظا عليها أنني أصبحت أقرأ أهدافي كل يوم، فأزداد إصرارا عليها وحرصا على فعل ما يوصلني لها، وقد أثر ذلك الأمر كثيرا على اندفاعي صوب أهدافي باستمرار على الرغم من أنني لم أحرز أي تقدم ملحوظ حتى الآن.. ولكن الزمن جزء من علاج

المشكلات.. والصبر أولى صفات الناجحين..
 إنها سياسة النفس الطويل.. وكلمة داهمتني
 المشكلات أو استبدت بي الضيق والألم تذكرت
 استعينوا بالصبر والصلاة فهزعت لصلاة
 ركعتين، وناجيت ربي في سجودي، وبنثت له
 همي وشكواي.. فلا أخرج من صلاتي إلا
 مرتاحا، وقد زال ما بي من ضيق وكدر،
 وانشرح صدري واطمأنت نفسي المتعبة..

فتحت نافذة حجرتي لأطل على السماء.. إنه
 صباح يوم جميل من أيام شهر مارس.. فالربيع
 قد كسى الطبيعة بالبهجة.. أخذت أستنشق
 الأكسجين بعمق وأتشم رائحة الهواء الرطب
 في الصباح الباكر.. واستشعر كياني كله إحساسا
 عميقا بالسرور.. حمدت الله على نعمة اليوم
 الجديد والجو الجميل والنسيم العليل وتلك الطيور
 المغردة بأصواتها الجميلة فوق الشجرة التي
 تطل عليها نافذة حجرتي.. كم أنا غني بالنعم..

لو أن لي الدنيا بما فيها وحرمت من تلك المناظر
الجميلة أو من تلك الأصوات الجميلة أو من تلك
الروائح الطيبة.. ما كان للغنى معنى.. أو لو
كنت مريضا طريح الفراش فقدت القدرة على
الحركة.. أو لو كنت كسيحا أو فاقدا لأحد
أطرافي لكنت الدنيا مختلفة عما هي عليه الآن..
فاللهم لك الحمد والشكر على كل النعم التي
وهبتها حتى قبل أن أتعلم أن أطلب منك.. أو
أن أشكر نعمك..

لبست ثيابي وخرجت من الحجرة فوجدت أمي
في صحن الدار تتلو القرآن فبادرتها:

_ السلام عليكم يا أمي، وقبلت يدها ورأسها

كيف حالك اليوم؟

مسحت بيدها على شعري وربتت على ظهري

_وعليكم السلام يابني.. الحمد لله.. أنا بخير
ونعمة.. تبدو سعيدا يا ولدي أسأل الله أن يجعل
أيامك كلها سعادة.

_اكون سعيدا حين أرى تلك البسمة الجميلة على
وجهك يا أمي.

_إلى أين تبكر اليوم؟ لا زال الوقت مبكرا على
خروجك؟

سأذهب لزيارة ضياء في بيته.. لقد تواعدنا على
أن نتقابل اليوم

حسنا يابني.. اذهب حفظك الله.

السلام عليكم.

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته يا ولدي.

وصلت إلى بيته في الموعد الذي اتفقنا عليه
تماما.. وحينما طرقنا الباب سمعت صوت
ضحكه ولعبه مع ابنته الصغيرة.. لقد تحسنت

كثيرا والحمد لله.. مع أن معظم الأطباء كانوا قد
أكدوا له أن الخلل بالقلب خطير جدا، وأنها لن
تعيش طويلا.. وأن الأمل في نجاح العملية
ضئيل جدا.. لكنها أجرت العملية واستعادت
صحتها كاملة بفضل الله.. لقد عجبت من صبره
ورضاه وتفأؤله برغم المحنة الصعبة التي مر
بها.. فالطفلة التي انتظرها لسنوات ولدت بنقص
في القلب كاد أن يؤدي بحياتها.. لكنه برغم ذلك
كان شديد الثقة في الله.. وكان متأكدا أن الذي
وهبه ذلك الرزق سيتم نعمته عليه.. لم يفقد
الأمل ولم يستسلم.. لقد كان واثقا متفائلا..
وهاهي ذي فرحته قد تمت.. وابنته ذات الشهور
الست تملأ عليه بيته وحياته ببسمتها ولمستها
ونظرتها الجميلة، وقد تعافت مما أجمع الأطباء
على أنه مهلك، فتح ضياء الباب مبتهجا
وصافحني بحرارة قائلا:

_تفضل يا فريد.. في الموعد تماما كما أنت دائما.

_انت تعلم.. أنا أحب الدقة والانضباط في
المواعيد.

_نعم أعلم.. تفضل بالجلوس.. أخبرني كيف
تسير الأمور معك الآن؟

_لا جديد يا ضياء.. أنا كما أنا.. لم أتزعج عن
مكاني شبرا واحدا كما توقعت.. لازلت أعمل
وأكدح.. وأعد التصميمات المتقنة لكنني دوما
أقابل بالرفض لأسباب واهية.. والحقيقة
الواضحة أن مظهري المتواضع وأن فقري
الواضح هو السبب الحقيقي، كنت أعلم ذلك
تماما.. فالأمور لا تسير دائما في الاتجاه الذي
نريد.

_نعم. نعم.. لازلت أنت المشكلة يا فريد.

_من جديد تقول ذلك؟

_ نعم. من جديد.

_ هل تعلم الآن ما هي أكبر مشكلة لديك الآن؟

_ لا تقل إنها أفكاري السلبية.. فلقد صرت إيجابيا
حقا.. وتوقفت عن التفكير فيما يزعجني.. لكن
الأمر لم يتغير في حياتي.. أموري أنا على أقل
تقدير.

_ ليس هذا ما أعنيه يا صديقي.. لقد قلت الكلمة
التي حسمت الأمر منذ دقيقة.
وأية كلمة تلك التي قلتها؟

_ قلت: أنا كما أنا لم أترشح.. كما توقعت!..
هذه هي المشكلة الكبرى الآن يا صديقي، أنت
تحاصر نفسك بالتوقعات السلبية.. وتجعل لها
مكانا في حياتك.

_ماذا تقصد بهذا الكلام؟ هل تعني أن توقعاتي هي السبب في رفض الشركات لي أيضا؟.. أنت تمزح هذه المرة.. أليس كذلك..

_بل أنا جاد تماما.. أنت تدخل لأي شركة وتراها كبيرة عليك.. وترى نفسك أقل منها.. وترى أنك لست أهلا للعمل في مثل هذه الشركة لأنك فقير وملابسك متواضعة.. تلك هي نظرتك أنت وتوقعاتك أنت.. ولكن توقعاتنا السلبية تؤثر في الآخرين وفي ردود أفعالهم نحونا.. فالتوقع السلبي يشبه كما لو أنك أطلقت في الهواء رائحة منفرة.. فكل من يشمها سيبتعد عنك مباشرة.. إننا نعيش في عالم عجيب، ومالا نراه منه أكثر بكثير مما نراه.. هل ترى اليوم وبعد كل هذا التقدم التكنولوجي كيف أننا نسبح في بحر من الموجات غير المحسوسة ولا الملموسة.. لكن

آثارها الكبيرة واضحة تماما في حياتنا.. في كل شيء في حياتنا.

كيف يعمل التلفاز والراديو عبر موجات لها صدى من بعيد؟.. بل كيف يتصل إنسان في مصر بآخر من أمريكا عبر الهاتف فيسمع صوته في نفس اللحظة التي يتحدث فيها؟.. بل كيف نتواصل عبر شبكة الإنترنت فنرى أصدقائنا وأقاربنا في أقصى العالم، وفي نفس اللحظة التي يروننا فيها، ونسمع كلامهم في نفس اللحظة التي ينطقون فيها؟.. إن العالم يا صديقي مملوء حقا بما لانراه..

صدّق أو لا تصدّق.. أنت ترسل إشارات للآخر كتلك التي ترسلها الرائحة المنفرة أو كإشارات الهاتف..

لقد دعانا ديننا لحسن الظن والتفائل والتبشير لا التنفير: "بشروا ولا تفروا"، والله جل جلاله عند

ظن عبده به.. ظنك الحسن يعمل على مستوى كل شيء في حياتك.. ففي دينك يعمل ظنك الحسن بربك على تحسين دينك ودنياك وأخرتك.. وفي صحتك يعمل ظنك الحسن وتفاؤلك على مساعدتك على الشفاء السريع لدرجة أن الوهم يعمل أفضل من العلاج.. فالمرضى الذين يتم إيهامهم بقوة العلاج يشفون حتى لو تناولوا ماء بدلا من العقار، وعلى مستوى علاقاتك الاجتماعية تلعب توقعاتك دورا حيويا جدا؛ فأنت ترسل للآخر رسالة خفية بما تتوقعه منه.. فيرد عليك بسلوكه المؤكد لتوقعك منه.

عليك أن تتوقف فورا عن التوقع السلبي.. عليك أن تنظر للأمور بنظرة أكثر إشراقا.

ولكن أنت تعلم أن أنظمة تلك الشركات الكبرى تعتمد على نظام الواسطة، فهم يفضلون

الأشخاص الذي يزيدون من قوة شركاتهم بقوة
علاقاتهم وأنسابهم

_صحيح ما تقوله جزئيا.. ولكنهم يبحثون أيضا
عن المهارة وعن الشباب الناجح الطموح.. هل
تعلم أنني لم يكن لدي واسطة حين ذهبت لأقدم
في تلك الشركة الكبرى التي أعمل بها الآن،
ولكنني دعوت ربي وكنيت حسن الظن بإجابته،
وذهبت وأنا ممتليء بالتفاؤل واليقين والتوقع
الإيجابي، وقد وُفقت فيها على الرغم من صعوبة
الاختبار وكثرة المنافسين، وعلى الرغم من أنني
رفضت أن أستخدم الواسطة.. كنت أريد عملا
لي أنا لا لما أملكه من قرابة أو معارف.. كنت
أريد أن أنجح بذاتي.. أو بمعنى أصح بعون
ربي، فلقد دعوته، وأحسننت الظن به، وبذلت
جهدي، وها أنا ذا كما تراني.. هل فهمت
يا فريد؟.. هل فهمت؟ "

نعم يا ضياء.. لقد فهمتك جيدا جدا.

الأمور تتغير يا فريد.. لا يبقى أحدهم واقفا
مكانه طيلة الحياة.. الحياة تتغير بنا دوما.. فنحن
نتحرك ولسنا ثابتين.. لكننا نتحرك في الاتجاه
الذي ن فكر فيه دائما.. فخطواتنا تنساق في اتجاه
أفكارنا من دون أن نشعر.. فبينما يتقدم بعضنا
للأمام ويحققون النجاحات والإنجازات.. يتراجع
بعضنا الآخر للخلف.. وتظل توقعاتهم السلبية
تقودهم نحو المشاكل ونحو الأزمات..

تعلم من النبي صلى الله عليه وسلم كان دائم
التبشير حتى في أحلك المشكلات.. فانظر له يوم
حفر الخندق كيف كان يبشرهم ويقويهم.. ففي
الحديث الذي رواه البراء بن عازب: "لما كان
حين أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر
الخندق عرضت لنا في بعض الخندق صخرة
لأأخذ فيها المعاول، فاشتكتنا ذلك إلى النبي

صلى الله عليه وسلم، فجاء فأخذ المعول، فقال: بسم الله، فضرب ضربة فكسر ثلثها، وقال: الله أكبر، أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمر الساعة، ثم ضرب الثانية، فقطع الثالث الآخر، فقال: الله أكبر، أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر قصر المدائن أبيض، ثم ضرب الثالثة، وقال: بسم الله، فقطع بقية الحجر، فقال: الله أكبر، أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا الساعة" أخرجہ النسائي، لقد كانوا في محنة حقيقية، محنة شديدة؛ حيث اجتمعت الأحزاب عليهم راغبين في القضاء على المسلمين وإبادتهم للقضاء على الإسلام، ووسط الاستعداد لهذا الأمر الشديد كانت البشارات تخرج من فم النبي صلى الله عليه وسلم واحدة تلو الأخرى لتذكر المسلمين من حوله أن تلك الأزمة مجرد مرحلة قصيرة في عمر رسالة الإسلام التي ستتوالى لها

الفتوحات والانتصارات، فنقل أبصارهم وقلوبهم من تلك اللحظة الحرجة للتركيز على المستقبل الذي يحمل القوة والنصر، حتى وإن كنا نمر في تلك اللحظة الحرجة بالمر الضيق الذي ضاق وضاق حتى كاد أن يخنق أنفاسنا..

وهذه هي الطريقة المثلى التي علينا أن نتبعها حين تحيط بنا المشكلات، أن نعلق قلوبنا بالأمل في ربنا أن الغد سيكون أفضل، ونرى صورة أجمل نرجو حدوثها ونسعى نحوها بكامل جهدنا.. وأن نوجه أفكارنا نحو لك النفحات المشرقة فنمتليء بالتوقع الإيجابي القوي، بدلا من التركيز على واقعا المؤلم والذي يكدر صفحة التوقع للغد فيجعلها مليئة بالسلبية، فننأق ما توقعناه..

هل تعتقد أن طريق الناجحين كان معبدا ومفروشا بالورود.. لقد كان معظمهم يسير في

طريق مظلم يتخبط ويترنح فيسقط على الأشواك
 فتدميه.. ثم يصر أن يصل.. وحينما يقوم
 ويمضي تصطم رأسه بالحجارة فيرتد للوراء ثم
 يعود من جديد.. لقد كان الإصرار هو الوقود
 الذي تسير به شاحناتهم نحو الأمام.. وهو وقود
 لا ينفد لدى أصحاب العزائم لكنه ينفد وبسرعة
 لدى الضعفاء والمهزومين.. فإذا نفذ ذلك الوقود
 منهم، تراهم يترنحون ثم يسقطون في البئر
 المظلم.. فتتوقف شاحناتهم في منتصف
 الطريق.. أو ربما قبيل آخر الطريق.. كما قال
 إديسون: الفاشل هو الذي يتوقف عن المحاولة..
 ولو يعلم الفاشلون كم كانوا قريبين من النجاح
 حين توقفوا..

لذا لا تتوقف أبدا.. لكن لا تسرف في فراغ أيضا..
 لاتسر وأنت ترمي أمامك في الطريق حجارة
 لتتعثر بها وتسقط.. لا تهاجم حلمك بيدك أنت..

تفاءل وتوقع الخير رغم علمك أن الطريق ليس
معبدا.. ولكنك إن كنت مصرا على أن تقطعه..
فستقطعه بإذن الله.. هل فهمت؟

_ نعم. وشكرا لك.. شكرا جزيلا لك يا ضياء.. لقد
أضأت الطريق لي من جديد.. أشكرك من
أعماق قلبي.. ولكن.. هل يمكنك أن تخبرني
بقصة عن تلك الأفكار القوية التي أخبرتني بها..
قصة من قام من عثراته ومضى حتى نجح..
فالقصاص تبث الحماسة في نفسي..

_ بالطبع يمكنني.. ولا أجد مثالا على ما تريد
مثل قصة ذلك الرجل العجيب.. إنه صاحب
شركة هوندا.

_ وما قصته؟

_ إنها القصة التي تعلمك معنى الإرادة
والإصرار على تحقيق الهدف، وقوة التعامل مع

الصعوبات.. مهما كانت قوتها وعدد مرات
تكرراها..

قلت بلهفة: لقد زدت حماستي.. هيا أسرع.

اتسعت ابتسامته وتحدث بهدوء:

_في كتاب كيف أصبحوا عظماء.. روى المؤلف
تلك القصة:

"نشأ الياباني سيكيرو هوندا في أسرة تعاني من
الفقر الشديد، والذي أدى إلى موت خمسة من
أفراد أسرته نتيجة لعدم توفر الطعام وسوء
التغذية، كما اضطر لتترك الدراسة في صغره
واتجه إلى سوق العمل..

التحق هوندا بالعمل في ورشة صغيرة تعمل في
صيانة السيارات، ولأنه يملك روحاً طموحة قرر
أن يمتلك عمله الخاص، مما دفعه لاقتراض
المال وتأسيس ورشة صغيرة يقوم فيها بتصنيع
حلقات صمام تستخدم في السيارات، ثم قام

بعرض منتجه الجديد على شركة "تويوتا"، وقد عمل بجهد مضمّن لأجل تحقيق ذلك الهدف، حتى صار منتجه مكتملا فعرضه على الشركة، ولكنه فوجيء برفض الشركة لمنتجه؛ لعدم توافقه مع مقاييسها.. وقد كان هذا أول رفض يتلقاه، ولكنه لم يتوقف عند هذا الحد..

بل جعل من رفض الشركة له دافعا دافعا له ليطور ذاته ويحسن مهاراته؛ ليصير أقوى، وبالفعل عاد مجدداً للتعليم كي يطور من مقاييس منتجه فدرس لعامين كاملين، حتى استطاع أن يصل بمنتجه إلى أفضل المقاييس، وهو ما جعل شركة تويوتا توافق على التعاقد معه على شراء المنتج، بعد اقتناعها بمنتجه.

ولأن هوندا يملك روحا طموحة لا تقف عند هدف صغير، فقد قرر أن يؤسس مصنعا خاصا به ليوسع من دائرة إنتاجه، ليفي بحاجة شركة

تويوتا، غير أن الحكومة اليابانية رفضت إمداده
بالأسمنت اللازم؛ لأن الحرب العالمية الثانية
كانت على وشك أن تقوم، وكانت اليابان تعد
نفسها لها، فقرر هوندا إنتاج الأسمنت بنفسه
مستعيناً بمعاونيه، وبالفعل نجح أخيراً في تأسيس
المصنع الذي حلم به.

وبمجرد أن بدأ العمل بالمصنع حتى تعرض
لقصف جوي أثناء الحرب، وهو ما تسبب في
تدمير أجزاء منه ولكنها كانت أجزاء رئيسية لا
يمكن الاستغناء عنها، ومع ذلك فلم يستسلم.. بل
قام بترميم تلك الأجزاء مع رفقائه بالعمل، لكن
الأمر لم يتوقف عند ذلك الحد، فقد نزلت قنبلة
أخرى على المصنع بعد أيام معدودة فقط من
ترميمه، ودمرت أجزاء كثيرة منه ولكنه لم يفكر
في الاستسلام، بل عاد من جديد لأعمال الترميم
والإصلاح حتى عاد مصنعه من جديد.

في هذه المرة وبينما هو يسعى لتطوير منتجه عن طريق جمعه لعلب البنزين الفارغة التي كانت تلقيها الطائرات الأمريكية.. وفي قمة عمله ليرى منتجه النهائي حدث زلزال دمر مصنعه تدميرا كاملا، فقام هوندا ببيع فكرة الصمام إلى شركة تويوتا مقابل حصوله على مبلغ من المال.

لم يتوقف هوندا عن الإنتاج والحلم والصناعة والأفكار، بل كان مترقبا نشطا متوقدا ذهن، مصرا على تحقيق نجاحه وإن غير مخططه شيئا قليلا، وبمجرد أن سنحت له الفرصة انطلق من جديد.. فبعد أن تعرضت اليابان إلى أزمة اقتصادية تسببت في عدم توفر البنزين مما جعل الناس عاجزين عن قيادة سياراتهم والتحرك بشكل طبيعي، فكر هوندا في فكرة جديدة وُلدت منها تجارة جديدة أنشأتها تلك الأزمة، حيث قام بتطوير محرك صغير لدراجته؛ حتى يتمكن من قضاء حوائجه، وفي هذا التوقيت بدأ الناس

يتهافتون على الطلب منه أن يصمم لهم مثل محركه، وقد أنتج كل ماوسعه إنتاجه لهم.

ثم قرر أن يؤسس مصنعا جديدا لصناعة المحركات التي تلزم ابتكاره الجديد، لكنه من جديد واجه مشكلة عدم توافر رأس المال اللازم لبناء مصنعه، فبدأ في السعي خلف بائعي الدراجات في اليابان وطلب مساعدتهم، وتوصل لاتفاق مع عدد كبير منهم، ولما قام بإنتاج دراجته لم تلق رواجاً في البداية لأنها كانت ذات مواصفات خاصة، فقام بتطويرها فحققت نجاحاً باهراً داخل اليابان، وقد تمكن خلال عام 1968م من تصدير مليون دراجة نارية إلى أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، وحصل سيكرو هوندا على جائزة إمبراطور اليابان، ولم يتوقف طموحه الفتي عند هذا الحد، بل بدأ بتصنيع سيارته الخاصة فيما بعد، والتي حققت نجاحاً

بأهرا في السوق العالمي، وجعلت من اسم هوندا اسما له وزنه وقوته.

إنها قصة مذهلة حقا.. ربما لو كنت مكانه بنفس الروح الخائبة التي كنت أمتلكها في الماضي لتوقفت ويأست من المرة الأولى.. وما تكبدت عناء المحاولة من جديد".

نعم، وهذا هو الفرق بين أصحاب الإرادة والإصرار على أهدافهم الذين يثابرون مهما واجهتهم الصعوبات ومهما تلقوا من الصفعات.. وبين من يستسلمون مع أول ركلة من ركلات الدنيا.

صمت قليلا وتتهدي.. ثم تابع:

أخبرني.. ماذا عنك الآن؟

قلت بحماس صادق: الآن.. الآن عليّ أن أحصل على هدفي بإذن الله.. ومهما حدث.. وعليّ أن أذهب الآن لأن لدي عمل يجب أن أنجزه.

وَفَقَاكَ اللهُ يَا فَرِيدَ.. أَنْتَ تَسِيرُ عَلَى الطَّرِيقِ
الصَّحِيحِ.. فَكُنْ مِصْرًا عَلَى هَدْفِكَ.. مَسْتَعِينًا
بِرَبِّكَ.. وَسَتُوفِّقُ بِإِذْنِ اللهِ.

تَذَكَّرِ..

لَا تَتَوَقَّفْ أَبَدًا.. لَكِنْ لَا تَسْرُ فِي فِرَاغٍ أَيْضًا..
لَا تَسْرُ وَأَنْتِ تَرْمِي الْحِجَارَةَ فِي طَرِيقِكَ لِتَتَعَثَّرَ
بِهَا.. لَا تَهَاجِمِ حَلْمَكَ بِيَدَيْكَ أَنْتِ.. تَفَاعَلِ وَتَوَقَّعِ
الْخَيْرِ..

وَبِرْغَمِ عِلْمِكَ أَنَّ الطَّرِيقَ لَيْسَ مَعْبَدًا..

وَلَكِنَّا إِنْ كُنَّا مِصْرًا عَلَى أَنْ تَقْطَعَهُ..

فَسَتَقْطَعُهُ بِإِذْنِ اللهِ..

الفصل الثامن

اجعل كلماتك ايجابية

الكلمة سر خطير ذو حدين

يدفعنا.. أو يمنعنا

مر شهران آخران.. والأمل صار شعلة في
نفسي منذ لقائي الأخير مع ضياء.. لم أتوقف عن
توقع الخير والثقة بالله.. ولم يمض وقت طويل
حتى جاءتني المفاجئة التي جعلتني أصر ساجدا
لربي.. فبينما كنت في عملي المعتاد.. أجلس
ببضاعتي الهزيلة ويلفحني حر الشمس فأتصعب
عرقا في يوم من أيام شهر يونيو الحارة..
وتحرقني نظرات المارة التي تشعرني بالمهانة
والمذلة.. وجدت ضياء أمامي ترسم على وجهه
ابتسامة عريضة، وهو يستعجلني من جديد:

_ هيا هيا بسرعة_

_ إلى أين؟ وما الأمر؟

لقد جاءتك الفرصة حتى بابك.. وما بقي إلا أن تتصيدها بسرعة قبل أن تفلت منك.. لقد اضطر أحد زملائي لطلب عطلة طويلة مفاجئة؛ لأن والده مريض جدا.. وسوف يسافر معه للعلاج بالخارج.. والشركة بحاجة لبديل عاجل؛ لأن هذا المهندس كان يعمل على مشروع كبير منذ مدة.. والمشروع يجب تسليمه في خلال ثلاثة أشهر.. ولأوقفت تماماً لديهم للإعلان وإجراء المسابقات.. لذا فقد أخبرت المدير عنك.. وأعطيته بعض تصميماتك فأذهلته.. وقال إنه يريد أن يراك الآن.. هيا لا تضع وقتا في الكلام.. اذهب وجهّز نفسك بسرعة.. وإياك أن تحضر الرائحة المنفرة معك.. هل فهمت؟

قلت بتعجب: أي رائحة تقصد؟

هل نسيتهما؟

وضع ضياء كتا يديه على رأسي فطوقها، ثم
قال:

_الرائحة المنبعثة من هنا، رائحة التوقعات
السلبية.. فعلى الرغم من أن الظروف الآن في
صالحك تماما.. إلا أن تلك الرائحة سوف تضيع
منك الفرص الجاهزة.. لذا تخلص منها تماما.

بدوت متوترا تماما، وقلت بصوت متقطع:

_حسنا يا ضياء.. حسنا.. لا تقلق.

نظر ضياء نحوي متوجسا خيفة، وقال لي:

_، لا أقلق؟.. يبدو أنني سوف أقلق

_ولماذا؟

_ ألم أخبرك من قبل أن تجعل كلماتك إيجابية؟

_ وهل تكلمت الآن بطريقة سلبية؟".

_ نعم.. إلى حد ما.. ولكن هل سنقف هنا كثيرا،
سوف نتأخر.. هيا لنتكلم ونحن نمشي، فالوقت
يдахمنا.

_ حسنا لنمشي ولنتكلخ.

جمعت متاعي بسرعة ولففته وأوصيت صاحباً
لي أن يعتني ببضاعتي ثم انطلقنا.. فسألته:

_ خبرني الآن كيف تكلمت بطريقة سلبية؟

_ حين تطلق كلمة سلبية مصحوبة بالنفي يترك
عقلك النفي ويضع تركيزه على الكلمة، فحين
تقول: "لا تقلق" فأنت تشجع القلق على النمو في
نفسك وفي نفسك أنت أيضاً.

وماذا أقول إذن؟

_ استخدم كلاماً إيجابياً، وهو عكس الكلمة
السلبية التي نفيتها.. قل: كن مطمئناً.. هل
فهمت؟

_حسنا.. حسنا.. كن مطمئنا وأبشر بالخير
أيضا.. أنا واثق بالله.. وتلك فرصتي ولن
أضيعها.

_فريدا! ماذا قلت؟

_آسف. أقصد: إنها فرصتي وسوف أغتتمها.

_رائع.. هيا بنا إذن.

عدت للمنزل مسرعا.. وتهيأت على أحسن
صورة.. وحمّلت تصميماتي وحمّلت معها الأمل
والثقة، وقبلت رأس أمي ويديها، وقلت لها:

_ادعي الله لي يَاأماه.

منحتني ابتسامتها المشرقة وهي تربت على
كتفي وتدعو لي:

_اذهب يا بني.. أسأل الله أن يفتح لك أبواب
الخير.. وييسر أمورك كلها.

حينما وصلت إلى الشركة انطلقت إلى موظف
الاستقبال، وأخبرته بأمر المقابلة الشخصية
وأعطيته بياناتي، قال لي الموظف:

_دقيقة واحدة

وأخذ يعبث بأزرار حاسوبه للحظات، ثم التفت
إليّ مبتسماً:

_موعدك في تمام التاسعة، الطابق السادس،
المكتب الثاني، تفضل.

اتبست له بدوري وقلت له: شكراً لك.

وانطلقت نحو المصعد، وبينما أسير في ردهة
الشركة الكبيرة أخذت أتلفت يمنة ويسرة، فلقد
فوجئت من ضخامتها والقوة التي تبدو عليها،
وقلت في نفسي:

“هل سأتمكن حقا من العمل في مثل هذا المكان
من دون واسطة؟ ومن دون حتى شهادات
إضافية؟ هل هذا معقول؟”

استقلت المصعد وضغطت على الزر السادس،
ونظرت في المرآة لأعدل من هياطي، وسرعان
ما وصل المصعد للطابق المطلوب، وفُتح الباب
فخرجت منه وقد ازداد قلقي وتوتري، وتوجهت
مباشرة للمكتب الثاني وسجلت حضوري ثم
جاست منتظرا..

بعد عدة دقائق والتي كانت تفصلني عن الساعة
التاسعة نادى الموظف على اسمي ودعاني
لمقابلة المدير، حاولت أن أستعيد هدوئي وأن
أمشي بثقة إلى المكتب، ولكنني بدوت متوترا
جدا، فتوقفت وطلبت كوبا من الماء، وأخرجت
منديلي وجففت عرقتي الذي تدفق إلى وجهي

وجبهتي، وشربت رشفة من الماء، ثم استعنت
بالله، وقلت في نفسي

"سوف أفعها بإذن الله"

وولجت المكتب بخطى ثابتة، كان المكتب شديد
الضخامة، وكان أثاثه فخما وراقيا جدا ويبدو
باهظ الثمن، وكانت الحجرة مقسمة إلى عدة
أقسام، وكان إلى الجهة الأخرى من المكتب
يجلس رجل في الخمسينات من عمره، وقد كسا
الشيب رأسه، ولكنه كان متناسق القوام، محتفظا
بقوته وحيويته، وقد كان مهيبا جدا، فأصابني
المزيد من التوتر، واقتربت من مكتبه بخطى
بطيئة وحييته:

_السلام عليكم.

رد علي: وعليكم السلام، مرحبا يا فريد.

كان صوته ودودا على الرغم من قوته، وقد
اكتست على وجهه ابتسامة هادئة مع مسحة من

التواضع أعادت الطمأنينة والثقة إلى نفسي،
وتبسمت له بدوري، مد يده وصافحني، وطلب
إلي الجلوس فجلست، وقد بدأت أألفه سريعاً،
وكأنه قد قطع المسافات بيني وبينه واجتازها في
لمحة عجيبة من أسلوبه الأسر وشخصيته
الحاضرة، ثم بادرني قائلاً:

_الرسوم التي رأيتها كانت رائعة جداً، هل أنت
من رسمها حقاً يا فريد؟

_نعم أنا.

_هذا رائع جداً، أي الشهادات الإضافية
حصلت عليها؟

تلعثمت وارتبكت، فقد كان هذا هو السؤال الذي
أخشاه، ولا أعرف كيف أجيبه، وشردت لهنيهة،
ولكنني سرعان ما استعدت رباطة جأشي، فقلت
له:

_بصراحة.. لم أوفق للحصول على أية شهادة إضافية بعد الجامعة، فأقد اكتتفت حياتي ظروف خاصة منعنتني من مواصلة التعليم مع حبي لذلك ورغبتي فيه.

صمت قليلا، فاضطربت وابتلعت ريقى بصوت قلق، ولكنه سرعان ما نظر لي نظرة دافئة وقال:

_لا بأس يا بني.. لقد كانت ظروفى صعبة عندما كنت فى مثل عمرك، وإن كنت موهوبا إلى هذا الحد من دون الحصول على أية شهادات فبالتأكيد سوف تكون أكثر براعة حين تمنحك الشركة الكثير من البرامج التدريبية، أليس كذلك؟

_أمل ذلك يا أستاذ كريم

_حسنا يا بني.. لدينا الآن اختبار عملى صغير لك.. عليك أن تجتازه فقط.. وسوف يكون هذا

الاختبار هو المعيار الوحيد الذي سنحكم به عليك.

اضطربت قليلا، ولكنني رددت بصوت ثابت:

أمل أن أكون عند حسن ظنكم.

_حسنا انتقل إلى تلك المائدة، واجلس إلى ذلك الحاسوب، وصمّم ما طُلب إليك.. لن يكون للوقت أهمية في ذلك.. فسوف أُنحك من الوقت ما تريد، ولكن المهم أن تنتهي هذا العمل.. سوف تبقى هنا أمامي.. وسوف أشاهد ما صمّمته بعد أن تنتهي منه، وسأحكم فوراً على عملك هذا بالقبول أو الرفض.. هل أنت مستعد؟

نعم.

إذن تفضل.

انتقلت للقسم الأمامي من المكتب، كانت هناك طاولة اجتماعات كبيرة، ووجدت نفسي مضطرا

للجلوس في مكان المدير نفسه على رأس الطاولة، ولكن هذا هو المكان الذي وضع فيه الحاسوب.. فاضطربت قليلا ولكنني حملت نفسي على الجلوس، كان الحاسوب يعمل وعلى شاشته يعرض تصميم فيه خطأ طلب إليّ تصحيحه، ثم إعادة تصميمه من جديد، كان عملا صعبا حقا.. ويحتاج إلى وقت وجهد وتفكير عميق، وهو يبرز كفاءة المهندس وقدرته على الإبداع والابتكار أكثر مما يختبر ما تعلمناه في سنوات الدراسة.. حاولت تناسي المدير الجالس بالقرب مني.. والذي اختلست له أكثر من نظرة فوجدته متشاغلا عني بالتركيز على حاسوبه.. فاطمأنت وتمكنت من العمل بتركيز أكثر..

أخذت أدقق أولا في الشاشة لعدة دقائق.. محاولا أن أستجمع في مخيلتي الشكل الصحيح الذي يجب أن يكون عليه التصميم.. لقد كانت شركة

كبيرة فيها نظام أمني قوي يصعب اختراقه، وكان هناك عدة ثغرات في نظامها الأمني وعليّ أن أصلحها.. كانت شروطه تجعل العمل أكثر صعوبة، ولكنها تجعل اللعبة أكثر تحدياً ومسلية أكثر..

قلت بسم الله، ثم بدأت في العمل متبسماً واثقاً من إنجاز المهمة، على نحو أفضل مما طلب مني.. استغرقت في العمل بشكل كامل.. حتى شعرت أنني غائبا تماما عن المكان الذي أجلس فيه، وكأنني انتقلت لموقع العمل.. كنت مملوءاً بالإصرار وكنت سعيداً مستمتعاً بما أقوم به.. حتى نسيت تماماً أنني في اختبار، وأن في الجهة المقابلة من الغرفة يجلس المدير منتظراً ما أقوم به الآن.. ومن شدة استغراقي لم ألتفت إليه ولو مرة واحدة، ولم أتكلم أو أتحرك لمدة ثلاث ساعات كاملة..

لكنني ما إن انتهيت من عملي حتى كست وجهي
ابتسامة المنتصر، قمت من مقعدي وتوجهت
نحوه، وقلت له بثقة:

لقد انتهيت.

فوجدته مبتسما ينظر إليّ بإعجاب شديد، في
البداية لم أفهم وتعجبت من ذلك فهو حتى لم ير
ما صنعت، وسرعان ما وجدته يقول لي:

أنت رائع حقا يا فريد.

فتعجبت أكثر، وقلت له: ولكنك لم تر بعد ما
فعلته؟

كان يكفيني أن أراك وأنت تعمل بكل هذا
التركيز لكي أعرف مدى جديتك في العمل..
وكان يكفيني أيضا أن أرى ما التمتع في عينيك
من إصرار وتحدي مع استمتاعك بما تعمل.

ولكنني لم أكتف على الحقيقة، فالقد كنت أراقبك وأنت تعمل أيضا، وأدار شاشة حاسوبه لتكون مقابلة لي، فرأيت تصميمي على شاشته.. لقد كانت خطواتك كلها صحيحة مائة بالمائة، وكنت تعمل باحترافية عالية، أنا سعيد بك حقا يا فريد.

دهشت جدا لموقفه مني، وقلت له مبتهجا:

لقد سعدت بلقائك أكثر يا أستاذ كريم، ولكن هل يعني ذلك أنه يمكنني تسلم العمل من الغد؟..

شبّك بين أصابعه وقد أسند مرفقه إلى المكتب وقال لي:

بالطبع لا.

نزلت عليّ كلمته كالصاعقة وامتقع لوني، ولكنه تابع كلامه بسرعة:

ولماذا علينا أن ننتظر للغد.. أوليس خير البر عاجله؟ لدينا مشروع بحاجة إلى تسليم، ونحن في عجلة من أمرنا.

قال تلك الكلمات بينما يستدير بالكرسي إلى الجهة اليسرى ورفع سماعة الهاتف واتصل بشئون الموظفين، وأخبر المسئول أن عليه أن يستقبلني في مكتبه الآن ليتم أمور التعاقد، وأن عليّ أن أستلم عملي فوراً، وقد فوجئت حين سمعت الرقم الذي وضعه المدير كراتب لي، فلقد كنت أحلم بنصف هذا المبلغ فقط، وكان نصفه سيعد أمنية عظيمة لي.. فهل حقا هذا ما يحدث معي الآن؟ أنهى مكالمته، وطلب إليّ أن أتوجه للأستاذ عماد بالطابق الثالث لأتم إجراءات التعاقد، ثم أتوجه من فوري إلى مكنتبي، وسوف يتولى مديري المباشر أمر تدريبي على العمل المطلوب.

صافحته بحرارة فيها امتنان عميق صادق،
وتوجهت حيث أمرني..

وبعد يوم طويل، وفي الساعة الخامسة مساء
انطلقت عائدا إلى بيتي وأنا لا أكاد أصدق
ما حدث لي في ذلك اليوم...

تذكر

حين تطلق كلمة سلبية مصحوبة بالنفي يترك
عقلك النفي ويضع تركيزه على الكلمة السلبية
التي نفيتها..

فحين تقول: "لا تقلق" فأنت تشجع القلق على
النمو في عقلك وفي عقل من تحدثه، استخدم
كلاما إيجابيا، وهو عكس الكلمة السلبية التي
تنفيها.. قل: كن مطمئنا..

الفصل التاسع

يمكن لأمورك أن تتغير بسهولة

بشرط أن تتغير أنت أولاً

حين نغير طريقة تفكيرنا في الأمور للأفضل
سنفاجأ بالسرعة التي تتغير بها الأمور
لصالحنا..

عدت إلى المنزل وعينيّ مملوءتين بالدموع، فلما
رأنتي أمي قالت لي:

_ لا تحزن يا بني.. فأنت لاتعلم أين يكون الخير.

انكبت على يدها أقبلها وأنا أقول:

_ بل إنها دموع الفرح يأماها، فلقد اجتزت اختبار
التصميم بكفاءة عالية، وقد أعجب المدير
بكفاءتي والحمد لله حتى أنه قال لضياء
معاتبا: "لماذا أخفيت عنا هذه الموهبة الرائعة؟"
أنا سعيد حقا والحمد لله.

ثم خررت لله ساجدا وأنا أبكي، وأخذت أردد:

إنه فضل الله وحده.. هل تعلمين يا أمي أنني سأتقاضى راتباً ضعيفاً ما كنت أحلم به في خيالي.. وسوف أتمكن بإذن الله من سداد ما اقترضته من ضياء لعلاجك.. وسوف أتمكن من مساعدة أخي وإعطائه الدروس التي يحتاجها، وسوف أحضر له ملابس لائقة لكي لا يكون منكسراً بين زملائه.. وسوف أجهز أختي.. فعلى الرغم من أن خطيبها قد أكد أنه لا يحتاج شيئاً منّا.. إلا أنني سأجهزها وأحضر لها أفضل الثياب.. ولن أخرجها من البيت إلا بما يرفع رأسها ولا يشعرها بالمهانة أو أنها أقل من غيرها.. وفوق كل ذلك سوف أتمكن بإذن الله في خلال عام من أن أجمع تكاليف ذهابك للحج كما كنتي تتمنين.. أنا سعيد جداً يا أمي الحمد لله.

أسأل الله أن يبارك فيك يا ولدي.. ولكنك نسيت أهم شيء يا ولدي.

_وما هو يا أمي؟

_نسيت أمر زواجك من ابنة عمك سلوى.. عليك أن تتقدم لخطبتها من جديد.. فهي على الرغم من كثرة خطابها إلا أنها ترفضهم جميعا؛ لأنها تنتظر عودتك من جديد.

_يا أمي لا تستعجلي.. عليّ أولا أن أهتم بكم.. ثم أفكر في نفسي.. أنا مسئول عنكم جميعا.

_ولهذا يولدي أنا أتحدث.. أنت تنسى نفسك لأجلنا.. ولأجل أن تسعدنا جميعا.. أنت رجل بكل معنى الكلمة يولدي.. وقد تحملت المسؤولية الثقيلة وحده.. فحملتها بشجاعة.. ومع هذا فسوف نبدأ بك أولا.

وأمسكت أمي بسماعة الهاتف وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة عريضة ذات مغزى.. ففهمت ما يدور في رأسها..

حاولت برفق أن أخذ سماعة الهاتف من يدها:

ليس الآن يا أمي.

قالت أمي بحسم وإصرار:

بل الآن يافريد، سوف أتصل بزوجة عمك فوراً.. وسأحدثها بأمر الزواج

يا أمي أنا لا أملك الآن أي مال، ولدي عدة التزامات علي تسديدها أولاً.

لا عليك من ذلك.. يمكنك أن تعقد عليها الآن فقط.. ونتم الزواج بإذن الله بعد عدة شهور أو حتى سنة، وسلوى طيبة ولا مانع عندها من أن تقيم معنا هنا، وبعد عدة أشهر سوف يكون البيت خالياً.. فأختك سوف تتزوج، وأخوك سيتم العام الأخير في الثانوية ثم ينتقل للمدينة الجامعية، وحتى تدور السنة الأولى من زواجكما تكون قد جمعت ما تبني به شقتك وتستقلا بحياتكما قبل أن يعود أخوك في العطلة السنوية

_حسنا يا أمي كما ترين، أنا ذاهب لغرفتي.. هل تريدني مني شيئاً؟

_لا يا بني.. أسأل الله أن يوفقك في عملك وحياتك.. فأنت ولد بار ورجل صالح.

أسرعت الخطا نحو حجرتي، فأنا لا أريد أن أسمع ما يدور من حوار بين أمي وزوجة عمي، وعلى الرغم من رغبتني الشديدة في أن أحظى بالقبول، إلا أنني أيضاً كنت خائفاً من الرفض.. خائفاً من الفشل.

ولكن ربما أنه لا معنى الآن للخوف، لماذا تخاف يا فريد؟ ألاتفهم؟ إن الأمور تغيرت بفضل الله.. لقد تسلمت عملي الجديد.. وسوف يكون لدي راتب كبير يمكنني حقا من الزواج ومن تحمل تكاليف الأسرة بإذن الله، وسلوى فتاة طيبة ذات خلق ودين.. وهي ليست مادية أبداً.. لن ترهقني بالطلبات وستتقنع بما أقدر على توفيره

لتجهيز البيت.. كما أن عمي من البداية يقف معي ويحاول أن يساعدي.. وزوجة عمي صديقة لأمي وهي تتمنى أن ترى ابنتها متزوجة وسعيدة في بيتها، وهي مستاءة من رفضها المتكرر للخطاب، لا معنى للقلق والخوف إذن.. فالطريق أمامي مفتوح.. وحتى لو أخرجنا الزواج قليلا إلا أنني سأكون خطيبتها مما يعني أن يتوقف الخطاب الذي يزجونني كثيرا عن الذهاب إليها من جديد.. فكلما كنت أسمع أن خاطبا جديدا طرق باب بيتهم يصيبيني الخوف أن تجد فيه زوجا مناسباً وترضى به وأفقدها.. والآن يمكنني أن أغلق هذا الباب تماما.. حتى لو لم أكن مستعدة بعد للزواج.. وأنا واثق أن عمي لن يمانع.. لا.. لا.. أقصد أنه سيرضى بإذن الله..

نادت عليّ أمي بعد وقت قليل:

تعال يا فريد

اضطربت قدماي وتلعثمت كلماتي.. فبقيت
مكاني وأنا أقول:

لماذا يا أماه؟ هل هناك أمر ما؟

ضحكت بصوت مرتفع:

يالك من ولد.. هل تخجل كالفتيات.. هيا تعال.

ذهبت وقدماي ترتطمان ببعضهما.. وقلت
باضطراب وأنا أتظاهر باللامبالاة بالأمر:

ماخطبك يا أمي؟

ضحكت وقالت: لاداعي للكلام.

ثم رفعت يدها أمام فمها وزغردت.. فهرع
إخوتي إلينا متسائلين ما الأمر.

قالت أمي بفرح: لقد خطب فريد سلوى من
جديد، وهم في غاية الفرح به. ليس هذا فحسب
بل تسلم أخوكم عملا محترما في شركة كبيرة.

قفز أخي بسرعة إليّ واعتقني يهنئي بحرارة،
وأمسكت أختي بيدي بكاتا يديها ودموعها تنساب
على خدها:

_تستحق كل الخير يا أخي.. فإلقد كنت نعم
الرجل بعد أبينا.

هرعت إلى حجرتي وصاليت ركعتين شكرًا
لربي.. ثم جلست أتفحص حياتي الماضية.. كيف
كانت وكيف تحولت..

لقد اتخذت حياتي مسارًا انحداريًا منذ وفاة أبي
وحتى قبيل عدة أشهر مضت.. لم يتغير شيء
سوى تغيري من الداخل.. لقد كانت أفكاري
مظلمة ومشاعري غارقة في الألم واليأس.. ولقد
كنت أتخبط على الدوام..

منذ عدة أشهر حدث التحول.. مع أن الأحداث
هي هي.. والظروف نفسها والمصاعب
والعقبات على حالها..

لم يتغير فيّ سوى تفكيري.. ولكنه حين تغير
تغير كل شيء في حياتي حقا.. بداية من
مشاعري لسلوكي.. للظروف المحيطة بي من
الخارج..

لقد كان كل هذا بسبب ضياء الذي أضاء لي
الطريق، رفعت سماعة الهاتف واتصلت به:

_ لا أعرف كيف أشكرك حقا.

_ لا نقل هذا الكلام.. فنحن إخوة.

_ هذه هي الحقيقة.. فلم يشكر الله من لم يشكر
الناس.. كل ما حدث في حياتي من تغير للأفضل
كان بسببك أنت.. شكرا على كل شيء.

_ أنت أخي وصديقي.. وخير الناس أنفعهم
للناس.. المهم ألا يقف الخير عندك.. وكما
خرجت من الضيق للسعة حاول أن تخرج
غيرك.. وأن تبذر بذور الأمل في نفوس

الآخرين.. فكم من كلمة أحييت نفسا كانت على
وشك أن تهلك

معك كل الحق.. وأنا المثال على تلك النفس.

تذكر..

لم يتغير شيء سوى تغيري من الداخل.. لقد
كانت أفكاري مظلمة ومشاعري غارقة في الألم
والياس.. ولقد كنت أتخبط على الدوام.. منذ عدة
أشهر حدث التحول..

مع أن الأحداث هي هي.. والظروف نفسها
والمصاعب والعقبات على حالها..

لم يتغير فيّ سوى تفكيري.. ولكنه حين تغير
تغير كل شيء في حياتي حقا.. بداية من
مشاعري لسلوكي.. للظروف المحيطة بي من
الخارج..

الفصل العاشر

أحبة الضاد

لا تتوقف أبدا.. إذا حققت هدفا.. فضع عينك
على الذي يليه وساعد غيرك..

الأهداف عملية مستمرة مادامت فينا حياة
ولا يتوقف عن الأهداف سوى الأموات..

مر الوقت سريعا.. وقد مضى الآن على بدايتي
المريرة أكثر من عام، والحمد لله تيسرت جميع
أموري، فلقد حدث في هذا العام الكثير من
الأشياء المبهجة التي غيرت حياتي بالكامل، فلقد
تمكنت بسرعة شديدة من اكتساب ثقة المدير،
وثبتت قدمي في الشركة، وحصلت على الحوافز
والمكافئات فوق راتبي الذي كان كبيرا أصلا..

ولقد أبدت أمي استجابة فوق الممتازة مع
العلاج، حتى برأت والحمد لله، وصارت قادرة
على العناية بنفسها وبالمنزل أيضا، ولم تجد

أختي مبررا آخر للتأجيل فتم زواجها بعد أن
اشترت لها كل ماكانت بحاجة إليه..

وقد أتم أخي عامه، وأنجز اختبارات، وحاز على
أعلى الدرجات، وقد التحق بكلية الطب التي
كانت حلم أبي له، وبعد انتقاله للمدينة الجامعية
لم يعد لدي ما يمنعني من الزواج، فتزوجت من
سلوى بعد أن جهزت لها حجرة كبيرة في
المنزل بأثاث ممتاز، وأحضر أبوها لها بعض
الأجهزة الجديدة، وقد اتفقنا أن يكون هذا الوضع
مؤقتا حتى أتمكن من بناء الطابق العلوي لها،
وأن أترك هذه الشقة الأرضية لأخي ليتزوج بها
بعد أن يتم دراسته الجامعية..

وبهذا استقرت حياتي استقرارا كاملا.. تحسنت
أمي.. وتزوجت أختي.. والتحق أخي بالجامعة
التي أحبها وحلم بها أبي.. وقد نلت أنا وظيفة
رائعة براتب ممتاز ومكانة جيدة في عملي

وكسبت ثقة مديري.. وهاقد تزوجت أيضا من الزوجة الصالحة الخلوقة التي تمنيتها.. وقد أعلنت الطيبة بالأمس أن الأعراض التي تتابها هي أعراض الوحمل لأنها حامل.. وسوف أكون أبا أيضا بإذن الله..

الحمد لله.. فحيثما نظرت في حياتي لا أرى إلا الاكتمال والنعمة.. وكأنني لست فريد الأمس الذي ماكان ينظر في جهة من حياته إلا ويجد الألم والمحنة والمعاناة..

ولقد تعلمت الدرس الأكبر في التعامل مع أحداث الحياة ،الله لا يلقينا في المحن ويتركنا بل نحن مسئولون دوماً وبنسبة كبيرة عن كل ما يصيب حياتنا من أحداث..

والمحن ما هي إلا مراحل فقط في حياتنا إنها تصهرنا لتصنعنا.. وتخرج أفضل ما فينا..

كما أنه يمكن لحياتنا أن تتغير من الأسوأ
للأفضل

بشرط أن نغير أنفسنا أولاً أن نلجأ لربنا بثقة
وحسن ظن

ثم نحدد أهدافنا ونأخذ خطواتنا نحو الأفضل

أن نتخلص من السلبية المعششة في عقولنا

وأن نغير نظرتنا للحياة وللمشكلات التي
تغمرنا..

والآن. لقد مضى على نجاحي اليوم خمس عشرة
سنة كاملة لقد أسست أخيراً شركة أحلامي

أثناء جولاتي للأعمال الخيرية لمساعدة
المحتاجين، مررت بشاب يفتش الأرض في
نفس المكان الذي كنت يوماً من الأيام أجلس فيه

لقد شعرت نحوه بعاطفة غريبة ووجدتني
مشدوداً نحوه بقوة لا أعلم أكان ذلك بسبب

جلوسه في مكاني أو أنني قرأت على وجهه
علامات الشبه بيني وبينه.. ين ظروفه السابقة
وظروفه

وجدت نفسي منساقا نحوه فنزلت من سيارتي
وتقدمت نحوه بخطى حثيثة فلما رأني مقبلا نحوه
أصابه الفرع.. فتبسمت له.. فأصابته الحيرة، ثم
خاطبني:

_بماذا أخدمك سيدي؟ هل تبحث عن عنوان ما؟

قلت: لا، بل أتيت لأجلك أنت

_أنا؟!!! معذرة ياسيدي.. أنا أبيع بضاعة رخيصة
مقلدة، لا تناسبك أبدا

_لا أريد البضاعة، أخبرني ما اسمك؟ وما هي
شهادتك؟

_اسمي حازم، وأنا خريج كلية الحاسب الآلي
بتقدير ممتاز

لم يخب ظني فيك إذن يا حازم.. رأيت على وجهك أمارات العلم والذكاء، ولكن لماذا تعمل هذا العمل على الرغم من شهادتك؟

أبي مريض وأنا أعول أسرتي وإخوتي لا زالوا صغارا يدرسون، ولم أجد عملا مناسباً مررت كلماته شريط حياتي القديم أمام عيني، إنه مثلي، لقد اضطر لتحمل المسؤولية ودفعته حاجته للشارع للبحث عن لقمة العيش الشريف، كادت دمعة تسقط من عيني، لولا أنني أخرجت بطاقة من جيبى بسرعة وتبسمت له ومددت إليه يدي بها قائلاً:

خذ هذه بطاقتي فيها عنوان شركتي، أريدك أن تمر علي غدا صباحاً.. أنت تستحق عملاً أفضل..

ثم انصرفت مسرعاً وأنا أرى على وجهه أمارات الدهشة، وكأنه في حلم لا يصدق،

وأحسست وأنا أنطلق نحو سيارتي براحة غريبة
جدا.

تذكر..

حين تساعد شخصا بحاجة للمساعدة وتراه وقد
خفت حمله وهونت مصاعب الحياة عليه..

تخف روحك أنت أولاً، وتجد السعادة قبل أن
يجدها..

أحبة الضاد

همسة محبة

ربما يشعر من يتابع سلسلة نقطة تحول.. أنني دائماً أشير إليه.. خلف كل حدث.. أحمله مسؤولية ما يعانیه في حياته..

تلك هي الحقيقة.. والرسالة

تحمل مسؤولية حياتك.. وكف عن اختلاق الأعذار لأخطائك..

فأنت وحدك المسئول عن كل ما يجري لك.. الحياة ما هي إلا مجموعة من الخيارات والقرارات.. والظروف لا تفرض علينا مساراً محدداً.. بل إنها تخرج أفضل ما فينا.. أو أسوأ ما فينا.. بحسب ما نختاره نحن.. نحن فقط..

خطواتك

١- أوقف التفكير السلبي فوراً؛ لأنه سوف يدفعك في هوة سحيقة..

٢-فكر بطريقة إيجابية. وركز على المنح في قلب المحن، فالعطايا تكثر في الجانب الذي نركز عليه.

٣-حدّد أهدافك، واكتبها؛ فلا يمكن لسفينة حياتك أن تصل في البحر الهائج من دون وجهة.

٤-خطّط لأهدافك بدقة؛ فلا يمكن للأهداف أن تتحقق من دون خطوات صحيحة توصلك لها.

٥- طوّر ذاتك؛ فلا يجدر بك أن تطلب التميز، بينما أنت لست أهلا له.

٦- واجه المعوقات؛ فلا توجد أهداف من دون معوقات، ومن يستسلم يطويه النسيان.

٧-كن إيجابيا في توقعاتك فلا يمكن لك أن تسير في طريق آخر غير الذي تفكر فيه طوال الوقت

٨-اجعل كلماتك إيجابية؛ فالكلمة لها قوة خفية كبيرة، توجهنا ونحن لا نشعر.

٩-تغير.. لتغير الدنيا من حولك؛ فلا يمكن للتغيير أن يحدث في الخارج، ما لم يحدث بالداخل أولاً.

١٠-لا تتوقف.. لو حققت هدفاً ضع عينك على الذي يليه؛ وساعد غيرك، فحياتك مجموعة من الأهداف.. والتوقف يعني الموت.. وما عاش من عاش لنفسه فقط..

وتذكر:

"إن شيئاً في حياتك لن يتغير.. حتى تتغير أنت".

لمحة هامة

كن مصباحا تتير ظلمة الآخري إذا كنت غارقا
في المشكلات ثم وجدت فجأة من أسرج لك
المصباح فأنا به الظلمة التي تحيط بك وساعدك
وأخذ بيدك لتخرج مما أنت فيه

فلا تكن أنانيا بل ساعد غيرك وخذ بيد
الآخرين.. كما وجدت من يأخذ بيدك

وتذكر:

"ما عاش من عاش لنفسه فقط"

وفي الختام، انتبه.. لما تقرأ..

فالقصة.. أداة هدم أو بناء... ترمم روحك أو
تسممها..

لايستطيع عاقل أن ينكر الدور الذي تلعبه القصة
في حياتنا، والأثر القوي الذي قد يبقى محفورا
فينا لسنوات بسببها

إن القصص بها شيء مميز، لا يوجد بسواها فهي
تشعرك بموج متلاطم من المشاعر المتدفقة
والتعبيرات القوية والأحداث المتحركة

قد تسلبك عقلك وانتباهك، وتجعلك مشدودا
مأسورا بين أحداث الحكاية

و كأنك قد دخلت دهليزها، تتابع بكل جوارحك ما
يكتنف أحداثها من مد وجزر، ومن متعة وألم،
ومن بسمة وعبرة

تأخذك معها في عالم متدفق من المشاعر
والأحاسيس

تضعك في قلب الأحداث فتشعر بأحاسيس شتى،
فينتابك الفرح والحزن، ويحدوك الأمل كما الألم
مع كل حدث في عجالاتها المتلاحقة

إن القصة كأموج متلاطمة متسارعة من
اللقطات والمشاعر والآلام والأمل والأفراح
والأشواق والمفاجئات

لكنها اليوم ويبالأسف.. صارت خنجرا داميا في
نحر أمتنا المصابة فالمشكلة أن الأقلام في زماننا
لم تعد أقلاما مسؤولة.. فهي لا تدرك ما تفعله ولا
تدرك ما تقدمه..

فتتسج بخيال مريض أحداثا ولقطات يشمئز منها
العاقل الرشيد..

لكنها تلقي بظلالها المشؤومة على النفوس
الضعيفة فتتسج خيوط العنكبوت

ثم تخرج تلك النفوس الضعيفة بأحداث تلك
القصص على مجتمعنا الهش

فتزيده هشاشة.. وتزيد من محنته وكربه..

إن القصة.. رسالة.. ورسالة كبيرة جدا..

إذا حملناها كما ينبغي فإنها قد تبني مجتمعنا من
جديد..

وإذا حملها أصحاب الأقلام الحاقدة المسمومة..
والأقلام المأجورة المدفوعة.. وفاقدى القيم
عديمي الهوية..

فسيزداد المجتمع انهيارا.. وستزداد الهوة بيننا
وبين المجتمعات التي صنعت نهضتها.. وستزداد
الفجوة بيننا وبين الحياة الفاضلة التي كان
يفترض بنا أن نعيشها كمجتمع يحمل هويته
الإسلامية ويتقيد بها في سلوكه واختياراته..

إن القصة خطيرة جدا وهي سلاح ذو حدين.
سلاح قد نوجهه في نحر أمتنا..

حين نغيب بها شبابنا عن واقعهم.. ونجرهم بكل
قسوة على الأرض الصخرية لنلقي بهم في جب
الحزن والألم والفشل..

حين نجردهم من الفضيلة والعفة
والحياء.. ونسلبهم القيمة والهدف والوسيلة التي
يعالجون بها مشكلاتهم..

ونجعلهم يعيشون في عالم الوهم والخيال..

وهي هي قد تكون سلاحا نوجهه في نحر عدونا
إذا استخدمناها في إعادة بناء أمتنا فأحيينا بها
القيم والفضيلة.. وزرعنا بها المباديء وقومنا
الأخلاق المعوجة وصنعنا بها النجاح والتفوق..
وغرسنا الهدف وبنينا الرسالة..

وأعدنا التماسك لبناء الأسرة، ولعلاقة الأولاد
بآبائهم.. وأعدنا قيمة التعليم وقيمة الاعتماد على
الذات وتحمل المسؤولية وأعلينا قيمة القوة
والتحدي والنهوض من الفشل والتغلب على
المعوقات

لذا قررت أن أجعل من قصصي محاولة لليقظة،
محاولة أرجو أن تكون ناجحة.. لتجاوز الخطأ
وتجاوز العثرات..

لتجاوز الفقر والمرض والفشل وانهيـار
العلاقات..

لقد حرصت على أن تكون قصتي
بانية... وحرصت على أن يكون كل فصل منها
خطوة نحو التغيير..

وأن أجد الحل في قلب المشكلة..

فقد اكتفينا من تسلط الأضواء على جروحنا
الدامية..

ونحن اليوم بحاجة لمن يسلط الضوء على
العلاج.. على ما يخرجنا من المحنة للمنحة..
وتذكروا..

أن النجاح حلم لكن تحقيقه يحتاج إلى يقظة كبيرة
ولن يثبت الأمل في أرض يملأها اليأس
والألم..

رسالة للقاريء

لاتسلم عقلك لأي كاتب..فالكاتب الذي لايرعى
الأمانة..

سيبذر في نفسك - ومن دون أن تحس - بذور
الفساد

يقول العماد الأصفهاني:

" إنى رأيت أنه لا يكتب أحد كتاباً فى يومه إلا
قال فى غده : لو غُيّر هذا لكان أحسن ، ولو زيد
هذا لكان يُستحسن ، ولو قُدّم هذا لكان أفضل،،
ولو تُرك هذا لكان أجمل،..وهذا من أجمل العبر
، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة
البشر "

نقطة تحول



لقد كنت غارقا في المشكلات
كانت حياتي تتخبط
ومشاعري متحطمة..
والآن.. لقد تغير كل شيء
لقد وجدت نقطة التحول في حياتي

تصميم / لمياء فتحي

من
أحبة الضاد